

القَوَسُ الْعِذْرَاءُ

أَبُو فُهْرَا
محمود محمد شاكر

القوس العذراء

أبوفها
محمود محمد شاكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ذِكْرٌ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ فِي غُصْنِكَ
وَالَّذِي يَرُوعُ بِسَرِّهَا سُرُورٌ

وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَابَ فِي عُودِهَا
تَحْتَ الذَّنْبِ الْحَيِّ مَهَادٌ مُبْلَغٌ

سَكَنٌ نَائِبٌ عَمِيقِ الْمَدَفِ
يَنْتَبِهُ الصَّدى مِنْ بَنْفِجٍ لَمُتَلِّ

في الريح .. أَسْمَعَتِ اللَّعَاءَ الرَّهَى
يَنْفُخُ فِي الْأَرْغَمَالِ نَوْحَ النَّمْلِ

وفي يَدِ الْقَوَّاسِ .. كُنْتَ الرَّحَى
تَنَادَمَتْ فِيهِ بَقَايَا أَمَلٍ

وفي يَدِ الرَّامِي .. رَدَّتْ لَهَا
يَتَنَادَى عَنْهَا كُلُّ صَيْدٍ غَفْلٍ

وفي ضَمِيرِ الْعَمَّاشِ .. أَتَوَلَّيْتُهَا
مَنَائِلَ الْوَفَى بِخَطْمِ الرَّسْلِ

أَنْبَتِي غُضْنَا ، وَأَنْطَقْتِي
لَحْنًا جَرِيحَ الشَّرِّ أَنِّي هَدَلُ
عَلَى رَأْبٍ قَلْبِي .. عَلَى
أَمْتَارٍ مِنْهُرٍ جَدِيدٍ أَطْلُ
يَنْهَقُ ، وَيَنْزُورُ .. وَيُوحِي الصَّدى
لِلصَّوْتِ ، وَالشَّرُّ لَوْضًا فَلَا
وَيَرْثِيكَ الشَّرُّ دَالٍ عَنْ قِصَّةِ
فِيهِ لَيْسَ النَّفْسُ أَشَقَى مَثَلُ

غَيْثُهَا.. فَأَنْصَرَتْ عَالَمًا
مِنْ نَفْعَةٍ فِي دَنْهَا لَمْ تَزَلْ
دَوْبَتْهَا نَوْرًا.. وَشَفَقَتْهَا
عَذَاءً.. فِي خُلْدِ ضَمَاهِ أَهْلٍ

تَنْقِي بَلْفٌ مَا يَشَاءُ الرَّهَقَ
وَأُخْتَرُ تَنْقِي رَحِيمًا الْأَمَلُ
لَأُسَانٍ فِي نَاعِي.. عَصَرَتْ الصَّبَا
فِي لَحْنِهِ دُرْعَى زَمَانٍ رَحَلًا

مَا فِيهِ ، وَآتِي ، وَدَعَا أَوْضَحَتْ
 فِيهِ رُفْعًا مَلِكًا أُنْزِلَ شَقْلُ
 مَا هِيَ قَوْسٌ فِي يَدَيْهِ نَابِلٍ ..
 وَإِنَّمَا أَلْفَاخُ سَحْرِ نَزَلُ !!

الحسين ١٦ من ذوالقعدة ١٣٨٤ هـ

حنا امعل
 مجموع ١١

قوس الشَّماخ

الشَّمَاخُ بن ضِرَارٍ الغطفانيُّ :

واسمُه : مَعْقِل ، وَكُنْيَتُه : أَبُو سَعِيد . شاعرٌ
 فحْلٌ ، صحابِيُّ أدركَ الجاهليَّةَ ثم أسلم . وهو أحدُ غُورَانِ
 قيسِ الخمسةِ من فحول الشعر : ابن مُقْبِل ، والرَّاعِي ،
 والشَّمَاخُ ، وابنُ أَحمر ، وَحُمَيْدُ بن ثُورٍ . وَعَلَى عَوْرِهِ كانَ
 وصافاً ، أَجَادَ صِفَةَ حُمْرِ الوحشِ . أُشِيدَ الوليدُ بن
 عبدِ الملِكِ شيئاً من شعره في صِفَتِها فقال : « ما أوصَفَها لها !
 إِنِّي لأَحْسِبُ أَحَدَ أَبَوَيْهِ كانَ حِمَارًا ! » وذلكَ لأنَّه كانَ
 يتدَسَّسُ في ضُمائرِ الحُمُرِ فينطِقُها بما تَكْتُمُ ! غزا في فتوح
 عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وشهدَ القادِسيَّةَ ، ثم غزا أَذْرَبِيجَانَ مع
 سَعِيدِ بنِ العاصِ ، فاستُشْهِدَ في غزوةِ مُوقَانَ ، سنةَ أربعٍ
 وعشرينَ من الهجرة ، على عهدِ عثمان ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما .

- (١) حَلَاها : طردها عن الماء ومنعها ، والضمير لَحُمْرِ الوحش . وذو الأراكة : موضع ماء . والخُضْرُ : قَبيلة منها عامر الخُضْرِيُّ الرامى ، مُعَمَّر (رضى الله عنه) ، له حديث واحد عن رسول الله ﷺ ، له ترجمة فى الإصابة لابن حجر ، وذكر أَنَّ حديثه رواه أحمد ، وغاب عني فى المسند ، ولكن رواه أبو داود فى السنن فى كتاب الجنائز « باب الأمراض المكفرة للذنوب » .
- (٢) التَّلاد : المال القديم الموروث . تَارِز : الذى ييس فى مكانه ومات ..

- (٣) الرُّزْق : السهام فى شدة بياضها . والرَّمْيُ : المرمى . والنَّيْع : شجر تُتخذ منه القسي ، أصفر . والجلائز : عصب يُلَوَّى على القوس ليَشُدَّها من غير عيب بها .

١ ... فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَةِ عَامِرٌ
أَخُو الْخُضَرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

٢ قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،
كَأَنَّ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزٌ

٣ مُطْلًا بَزُرْقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيْهَا ،
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعٍ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

(٤) الضَّالُّ : شجر تُتَّخَذُ منه السهام كالنَّيْع ، أَصْفَر ، طيب الرائحة .
الشَّدَب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة .

(٥) كَنَّهَا : سترها في كِنٍ . والغِيل : الشجر الملتف ، ويسكنه الأسد ويحميه . وشجر متلاحز : متضايق دخل بعضه في بعض .

(٦) يَنْجُو : يقطع ما يؤدي . يَنْقَلُ : يدخل في شيء متلاحم على مشقة .
بارز : ظاهر للشمس .

(٧) أَنْحَى عَلَيْهَا : قصد وأقبل يقطعها . وَغْرَابُ الْفَأْسِ : حَدُّهَا المرفف .
وَالْعِضَاهُ : شجر عظيم ذو شوك . مِشَارِزُ : شرس سىء الخلق .

٤ تَخَيَّرَهَا الْقَوَّاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ
لَهَا شَذَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

٥ نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَا حِزُ

٦ فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
وَيَنْغَلُّ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

٧ فَأَنَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

(٨) آزور : مال وأعرض . من يُحَاوِر : من يخالطه من أصحابه الذين في حوزته .

(٩) مَظَعَهَا : وضعها في حرّ الشمس لتشرب ماء لحائها . واللحاء : قشر العود . وغمز العود : جسده ، لكي ينظر أين يُلَيِّنُه ويقيمه .

(١٠) الثَّغَاف : خشية في طرفها حَرَقٌ يتسع للقوس ، فتدخل فيها وتغمز حتى تُسَوَّى . والطريدة : قصبة مجوّفة خشنة الجوف تُدْخَلُ فيها القوس لتتبرّى قشرتها . الدرة : العوج . والشَّمُوس : الفرس العصية الجموح . والمهامز (جمع مَهْمَاز) : تنخس به الدواب لتستقيم . وتقويم ضغننا : تأديبها حتى يلين قيادها .

(١١) ذاق : جَذَبَهَا ليختبر شدتها أو لينها . وكَفَى : أي كافٍ لا يزيد عن الحاجة . ويُغْرِقُ السهم : أي يستوفى جذبها فيلين ، فرمما قطع السهم يد الرامي . يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم .

٨ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتَ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزْوَرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

٩ فَمَطَّعَهَا عَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،
وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

١٠ أَقَامَ الثَّقَافَ وَالطَّرِيدَةَ دَرَاهَا ،
كَمَا قَوِّمَتْ ضِغْنَ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ

١١ وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

(١٢) أنبض القوس : جذب وترها ، فإذا أطلقه بُبَضَ وَرَنٌ . الشكلى : التى مات ولدها . والجناز (جمع جنازة) : وهو الميت نفسه هنا .

(١٣) هتوف : لها صوت عال . وحذف جواب « إذا » كأنه معلوم لاشك فيه ، أى إذا أصابه السهم مات على المكان . ريع : دُعر . وأسلمته : خذلته ولم تحمله . والنواقر : قوائم التى يُثْقَز بها ، أى يقفز .

(١٤) الزعفران : من الطيب ، أصفر ، من زينة النساء ولاسيما فى العرس . وتُميره : تصب فيه الماء لتذيبه . والخوازن : النساء التى تخزنه . والكوانز : التى تكنزه فى وعاء ، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته .

(١٥) الأنداء (جمع ندى) : وهو بلل الصباح . أشعرت : ألبست . والحبير : ثوب موشى من الحرير الناعم . والمعاوز : الثياب الخَلِقة يلبسها المساكين . لم تُدرج : لم تُطَو عليها ، بل تصان بالحرير .

١٢ إِذَا أَبْضَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرْتَمَتْ
تَرْتَمَ ثَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

١٣ هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الطَّبِي سَهْمُهَا !
وَإِنْ رِيْعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

١٤ كَانَ عَلَيْهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَارٍ يَمَانٍ كَوَانِزُ

١٥ إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صِينَتْ وَأَشْعِرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج . ويبيح : مشتري يحسن البيع والشراء . والسَّوْم : المساومة . ورائز : مختبر لشدتها وثقلها .

(١٧) هل تشتريها : هل تبيعها ؟ . والثَّلاذ : المال القديم الموروث . والحرائز : التي تُحَرَّز ولا تباع لنفاستها .

(١٨) الشرعى : من أجود الثياب وأغلاها . والسيراء : ثياب مخططة نفيسة . أو أواق : « أو » بمعنى واو العطف هنا ، والأواق (جمع أوقية) وهى من الموازين . ونواجز : حاضرة غير مؤجلة .

(١٩) ثمان : يعنى ثمانى أواق من الذهب . والكُورَى : منسوب إلى كور الصائغ الذى توقد فيه النار ، يعنى ذهباً مصوغاً . أذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به ، أى تشتعل ويستندُ لهبها . والخابز : صانع الخبز على النار .

١٦ فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَأَنْبَرَى
لَهَا بَيْعٌ يُعْلَى بِهَا السَّوْمُ رَائِزُ

١٧ فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا بَيْعُ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ !

١٨ فَقَالَ : إِرَارُ شَرْعِيٌّ ، وَأَرْبَعُ
مِنَ السَّيَّاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

١٩ ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ

(٢٠) بُرْدَان : تثنية بُرْد ، والحال : موضع تصنع به الشيايب النفيسة الرقيقة .

وعلى ذاك : أى مع ذاك . والمقروظ : المدبوغ بالقرظ . والماعز : جلد المعزى ، وهو من أجودها .

(٢١) أميرها : الذى يؤامره ويشاوره . ويجاوز : يتركه ويمضى .

(٢٢) لاهز : دافع مانع .

(٢٣) شراها : باعها . وحزاز : قاطع يحز حَزًّا شديدًا . والوجد : أشد الحب

وأحره . وحامز : مُمِضٌ مُحْرِق .

٢٠ وَتُردَانِ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

٢١ فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ

٢٢ فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِزُّ

٢٣ فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً ،
وَفِي الصَّدْرِ حَزَازٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزُ

القوس العذراء

(٣) أعوزه الأمر يُعَوِّزُهُ : إذا اشتد عليه وعسر ، واحتاج إليه فلم يقدر عليه .

(٦) ينسرب : يجرى سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه .

إلى صديق لا تبلى مودته :

أما بعد ، فإنى لم أكن أتوقع يومئذ أن ألقاك ، وإذا
كنت قد أوتيت حياءً يغلبك عند البغته على لسانك ، حتى
يُعوزك ما تقول ، فقد أوتيتُ أنا ضريراً ثرثاراً من الحياء ، ٣
يُطلق لسانى أحياناً ، عند البغته ، بما لا أحب أن أقول ، وبما
لا أدرى كيف جاء ، ولم قيل ! كنتُ خليقاً يومئذ أن أقول
غير ما قلتُ ، ولكنى وجدتُ شيئاً منك ينسربُ فى نفسى ٦
فيثيرها ، حتى يدورَ حديثى كله على إتقانِ الأعمال التى
يتاح للمرء أن يزاولها - فى لمحة خاطفة من الدهر ، نسميها
نحن الناس : العمر !! يا له من غرور ! بيد أن هذا الحديث

أبى إلا أن ينقلب عائداً معى فى الطريق ، يُسائرنى ،
ويُصاحِبْنى ، ويُوْنِسُ وَحْشَتى ، وَيُسِرُّ إِلَى بَوْسُوسَةٍ خَفِيَّةٍ
من أحاديثه التى لا تتشابه ، والتى لا تتناهى ، والتى هى
أيضاً لا تُمَلُّ . وإذا كانت ثروةً حَيَّائٍ قد صكَّتْ مَسَامِعَكَ
ببعض عُنفَى وَصْرَامَتى ، فعَسَى أن يبعثَ فى نفسك بعضَ
الرضى ، ما أرويه لك من بقايا تلك الأحاديث ، التى
رافقتنى منذُ فارقتك ، إلى أن استقرتْ بى الدارُ ، ثم طارتْ
عَنى إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ ، وغابتْ حيثُ يَغيب !

* * *

الإنسانُ خَلَقَ عَجِيبٌ !! كُلُّ حَيٍّ ، بل كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ ،

(١) النهج : الطريق المستقيم الواضح البين . واللاحب : الطريق الواسع الأملس ،
لا يعوقك في مسيرتك فيه شيء . والهدى : السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضلُّ
عنها .

(٥) لا يتخلف : لا ينقطع عنها فيتأخر ، ويأتى في غير مواعده ومكانه .
والذرة : التملة الصغيرة الحمراء ، التمال (جمع غلة) .

(٧) تقضى نحبها : تفرغ من عملها ، وتبلغ مدة أجلها .

(٨) ترق : تحرقه وتخرج منه ضالة على وجهها .

(١٠) تحدث : تبدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها .

- ١ يسيرُ على نهجٍ لاجِبٍ لا يَحْتَلِّ ، يُؤَيِّده هَدىً صادقٌ
لا يَتَبَدَّلُ . ومهما تباينت مَسالكُهُ في حياته ، وتنوعت
أعمالُهُ في حَيَاطَةِ مَعِيشَتِهِ ، فالنَهجُ في كُلِّ دَرْبٍ من دُروبِها
هُوَ هُوَ لا يَتَغَيَّرُ ، والهُدى في كُلِّ شَأْنٍ من شُؤُونِها هُوَ هُوَ
٥ لا يَتَخَلَّفُ . ثُولَدُ الدَّرَّةِ مِنَ النَّمالِ ، وتَنمو ، وتبدأ سِيرَتِها
في الحَيَاةِ ، وتَعملُ فيها عَمَلُها الجِدُّ ، وتَفْرُغُ من حَقِّ
٧ وُجُودِها ، ثُمَّ تَقْضِي نَحْبَها وتَمُوتُ . هَكَذَا هِيَ مُذْ كَانَتْ
٨ الأَرْضُ وَكَانَتِ النَّمالُ : لا تَتَحَوَّلُ عَنِ نَهْجٍ ، ولا تَمُوتُ من
هَدىٍ . وتاريخُ أَحْدِثِها مِيلادًا في مَعْمَعَةِ الحَيَاةِ ، كَتارِخُ
١٠ أَغْرَقِ أَسْلَافِها هَلَاكًا في حَوْمَةِ الفَناءِ . لا هِيَ تُحَدِّثُ
لِنَفْسِها نَهْجًا لم يَكُنْ ، ولا هِيَ تَبْدَعُ لَوَارِثِها هَدىً لم يَتَقَدَّمْ .

(٢) سَنَ الطريقَ : بيَّنه ووطَّاه مستقيماً إلى قصد معروف .

(٣) نَسَقًا : أى نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل . منقادًا : سَلَسًا مفضيًا إلى نهايته .

(٤) التُّراث : الإرث الموروث . والمؤَيَّد : الخالد منذ أبد الأبدين .

(٥) السُّنَّة : الطريقة والسيرة اللازمة .

(٦) المنهاج : المسلك الواضح . والغابر : الماضي . والشَّرْك : جادة الطريق لا تخفى معالمها ، لظهور آثار السائرين فيها ، فالسائر كأنه يهتدى فيها ويستقيم اضطراباً .

- فَسَلِّ كُلَّ حَيٍّ : كَيْفَ تَعْمَلُ ؟ وَلِمَ تَعْمَلُ ؟ وَمَنْ الَّذِي
- ٢ عَلمَكَ وَهَذَاكَ ؟ وَمَنْ الْإِمَامُ الَّذِي سَنَّ لَكَ الطَّرِيقَ ؟ وَبِأَيِّ
- ٣ عِبْقَرِيَّةٍ يَأْتِي إِبْدَاعُكَ ؟ وَلِمَ كَانَ عَمَلُكَ نَسَقًا مُنْقَادًا لَا يَتَغَيَّرُ ؟
- ٤ وَكَيْفَ كَانَتْ مَهَارَتُكَ ثَرَاءً مُؤَبَّدًا لَا يَتَبَدَّلُ ؟ وَحِذْقُكَ طَبْعًا
- ٥ رَاسِخًا لَا يَتَحَوَّلُ ؟ وَلِمَ صَارَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِ مِنْكُمْ لِرَآمًا عَلَى
- ٦ الْأَوَّخِرِ ؟ وَمِنْهَا جُ الْغَابِرِينَ شَرَكًا لِلْوَارِثِينَ ؟ بَلْ كَيْفَ أَخْطَأَ
- الْآخِرُ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الْأَوَّلِ ؟ وَالْخَلْفُ أَنْ يُنَافِسَ
- صَنْعَةَ السَّلَفِ ؟ وَعَجَبًا إِذْنُ ! كَيْفَ صَارَ كُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ
- مُتَّقِنًا ، وَأَنْتَ لَمْ تَجْهَدْ فِي إِتْقَانِهِ ؟ وَأَنْتَى بَلَغْتَ فِيهِ الْغَايَةَ ، وَأَنْتَ
- مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْبِيرٍ وَمَشِيعَةٍ ؟ وَمَا أَنْتَ وَعَمَلُكَ ؟ أَتَحِبُّهُ وَتَأْلُفُهُ ؟

(١) تَشْتَوُهُ : تحبّه قبيحًا شنيعًا فتبغضه . وتُخَامِرُكَ : تخالط نفسك فتغطّي على حسن تمييزك ، كما تفعل الخمر بالعقول .

(٨) مَدْرَجٌ أَوَّلُهُ : ديب آباءه الأولين عليها ، وَدَرَجٌ الصَّبِيُّ : دبٌّ على الأرض ومشى مشيًا ضعيفًا .
(٩) الْفَرَطُ : السابق المتقدم .

١ أم تَشْتُوهُ وتَسْأُمُهُ ؟ أَتُخَامِرُكَ نَشْوَةُ الإعْجَابِ بما أَدْعَتْ فِيهِ ؟
 أم تَتَنَابُكُ لَوْعَةِ الحُزْنِ إِذَا أَصَابَهُ مَا يُتْلِفُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ ؟ أَلَمْ تَسْأَلْ
 نَفْسَكَ قَطُّ : فِيمَ أَعْمَلُ ؟ وَلَمْ تُخَلِّقْ ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ ؟
 وَأَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ جَوَابًا إِلَّا الصَّمْتَ
 الْمُسْتَتَكِرَ ، وَالذُّهُولَ الْمُعْرِضَ ، وَالصَّمَمَ الْمُسْتَخِفَّ الَّذِي
 لَا يَعْْبَأُ .

* * *

إِلَّا الْإِنْسَانُ !! إِلَّا الْإِنْسَانُ !!
 ٨ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ مَدْرَجُ أَوَّلِهِ عَلَى أُمِّهِ الْأَرْضِ ؟ وَأَيُّ
 ٩ هَذِي كَانَ لِفَرَطِهِ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ ؟

(١) سُدى : مهملاً غير مأمور ولا مُنْهَى مُسَدَّد . الهمَل : الضال المتروك
بلا بيان يهديه أو يحكمه .

(٢) التَّهَجُّجُ الأوَّلُ والتهجى القديم : هو الفِطْرَةُ التى فَطَّرَ الله عليها آدم وولده
قبل اختلافهم وضلالهم ، ونزول التكليف ، وبُعْثَةِ الأنبياء .

(٤ - ٦) أنبط : استخرج الماء من بطن الأرض . الذخائر : (جمع ذخيرة) :
وهو ما تخبئه فأخفيته ودفتته عن العيون . يستبحر : ينشق ويتسع ويصير كالبحر
لا ينقطع ماؤه . السرائر (جمع سريرة) : وهو ما كان مكتوماً كالسر ، لا يعرف حتى
تعلنه . والفتح : ما انفتح بعد استغلاق .

(٧) تَأَيَّد : صار ذا أَيْدٍ وقوة وتمكَّن . تَأَثَّل : تقادم عهده وثبت أصله . عَمَر :
عاش وبقي زماناً طويلاً .

(٩) حاد : مال عنه وعدل إلى غيره . مَرَّق : حَرَقَه وخرج إلى ضلال
المسالك .

- ١ إِنَّهُ كَكَلَّ حَيٍّ ، لَمْ يُخْلَقْ سُدًى وَلَمْ يُتْرَكْ هَمَلًا ، سَلَكَ لَهُ
- ٢ رَبُّهُ النَّهَجَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَتَكَاثَّرَ ، وَأَتَاهُ الْهَدَى الْقَدِيمَ حَتَّى
- يَسْتَحْكِمَ ، وَسَدَّدَ يَدَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ ، وَأَنَارَ بَصِيرَتَهُ حَتَّى
- ٤ يَسْتَكْمِلَ ، وَأَثْبَطَ فِيهِ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ حَتَّى يَسْتَبْجِرَ ، وَفَجَّرَ
- فِيهِ سَرَائِرَ الْإِتْقَانِ حَتَّى يَسُودَ وَيَتَمَلَّكَ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ حَتَّى
- يَسْتَفْهِمَ ، وَكَرَّمَهُ بِالْفَتْحِ حَتَّى يَتَغَلَّبَ .
- ٧ فَلَمَّا ثَبَّتَ عَلَيْهَا وَتَأَيَّدَ ، وَتَأَثَّلَ فِيهَا وَعَمَرَ ، نَظَرَ إِلَى
- مَعْرُوفِهَا فَاعْتَبَرَ ، وَهَجَمَ عَلَى مَجْهُولِهَا فَاسْتَنَكَّرَ ، فَكَأَنَّهُ مِنْ
- ٩ يَوْمئِذٍ حَادَ عَنِ النَّهَجِ الَّذِي لَا يَخْتَلُّ ، وَمَرَّقَ مِنَ الْهَدَى
- الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ .

(١) تمرس : احتك بالشيء فأثر فيه . أسلم : ترك مخذولاً بلا هداية .

(٢) نزع : حن واشتاق .

(٤) احتفر : بذل الجهد فى الحفر . أكذى حافرُ البحر : إذا حفر فبلغ الصخور ، فقطع الحفرُ خيبةً وبأساً .

(٥) نبعث : انفجر منها الماء ينبوعاً . نذت : نفرت هاربة واستصعبت . استقادت : خضعت وأعطته المقادة .

(١٠) جاشت نفسه : فارتفعت . والصبابة : بقية الماء التى تصب .

١. أَتَبْلَى مِنْ يَوْمَيْهِ فَمَرَّسَ ، وَأُسْلِمَ لِمَشِيئَتِهِ فَتَحْيَرُ . جَارَ
٢. وَعَدَلَ ، فَعَرَفَ وَجَرَّبَ . أَخْطَأَ وَأَصَابَ ، فَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ . نَزَعَ
- إِلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، فَأُخْفِقَ وَأَدْرَكَ . تَأَقَّى إِلَى الْهَدْيِ الْقَدِيمِ ،
٤. فَأَعْطَى وَحُرِّمَ . أَحْتَفَرَ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ ، فَأَكْذَتْ عَلَيْهِ تَارَةً
٥. وَبَعَثَ . التَّمَسَّ شُورَادَ الْإِتْقَانِ ، فَتَدَثَّ عَلَيْهِ مَرَّةً وَاسْتَقَادَتْ .
- وَإِذَا كُلُّ صُنْعٍ يَتَقَاضَاهُ حَقٌّ إِحْسَانِهِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ يَحْنُ بِهِ إِلَى
- قَرَارَةٍ إِثْقَانِهِ . فَعِنْدُئِذٍ حَاكَ الشُّكُّ فِي صَدْرِ اللَّاحِقِ ، حَتَّى قَدَحَ
- فِي تَمَامِ صُنْعِ السَّابِقِ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ . وَقَلَقَ الْوَارِثُ ، حَتَّى
- خَافَ تَقْصِيرَ الذَّاهِبِ ، فَاسْتَنْكَفَ الْإِذْعَانُ إِلَيْهِ . فَكَذَلِكَ
١٠. جَاسَتْ نَفْسُهُ ، حَتَّى أَنْدَفَقَتْ صُبَابَةٌ مِنْهَا يَمْعَلُ ، وَتَضَرَّمَ

(١) الميسم : أثر الوسم بالنار . تدلّه : ذهب عقله من الحب والهوى .

(٢) استجداد : وجد لذة جودته وحسنه .

(٣) الزهو : التيه والفخر والعظمة .

(٥) ختله : خدعه على حين غفلة .

(٦) عدت إليه : أسرع إليه على حين بغتة . والنبوة : القلق الذى يمنع الاطمئنان .

(٧) أعلام (جمع علم) : وهو المنار الذى يُنصب فى الطرق لهداية السارين .

(٨) ركّد البرق : سكن وميضه . والبوارق (جمع بارقة) : وهى السحابة ذات

البرق .

- ١ قلبه حتى ترك ميسمه فيما أنشأ ، فتدله بصنع يديه ، لأنه
- ٢ استودعه طائفة من نفسه ، وفتن بما استجاد منه ، لأنه أفنى
- ٣ فيه ضيراً من قلبه . وإذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه
- وملك ، ويضنيه الأسى عليه إذا ضاع أو هلك .

- ٥ هذا هو الإنسان وعمله . فإذا دبَّت بينهما جفوة تحبيل
- ٦ النفس حتى تملّ وتسام ، أو عدت إليهما نبوة تراود القلب
- ٧ حتى يميل ويُعرض ، أنطمست عندئذ أعلام النهج الأول ،
- ٨ وركدت بوارق الهدى المتقادم ، وبقي الإنسان وحيداً
- ملوماً محسوراً لا يزال يسأل نفسه : فيم أعمل ؟ ولم خلقت ؟
- وفيم أعيش ؟

(٨) صافاه : أخلص له الحب ، وأعطاه صَفْوَ مِرْدَتِهِ وَهَمَّهُ .

فما يكون جوابه إلا حَيْرَةً لا تَهْدَأ ، وهيبًا لا يَطْفَأ ،
وظلامًا لا يَنْقُشِع .

* * *

بل حَسْبِي وحسبك . فلقد خَشِيتُ أن تقول لى :
إِنَّمَا أَنْتَ تَحَدِّثُنِي عَنِ الْفَنِّ ، فهذه صِفَةُ أَهْلِهِ = لا عن
العمل ، فليس هذا مِنْ نَعْتِهِ ! وكَأَنِّي بك قد قلت : إِنَّ
الْفَنَّ تَرَفٌّ مُسْتَحْدَثٌ ، أَمَّا الْعَمَلُ فَشِقَاءٌ مُتَقَادِمٌ . هذا
مِمَّا تَعْجَلُهُ الْإِنْسَانُ وَعَانَاهُ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَذَلِكَ مِمَّا تَأَنَّى
فِيهِ وَصَافَاهُ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِلَذَّتِهِ . وَالْإِنْسَانُ إِذَا جَوَّدَ الْعَمَلَ ،
فَمُنْتَهَى هَمُّهُ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى قَضَاءِ مَآرِبِهِ أَعْوَنَ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ
فِي أَسْبَابِ مَعِيشَتِهِ أَنْجَحَ وَأَرْبَحَ . أَمَّا الْفَنُّ ، فَثَمَرَةٌ لِغَيْرِ

(١ ، ٢) المتألق : الذى يعمل الشيء بتجويد يأتى فيه بالعجب ، حباً لما يعمل وإعجاباً به . ثرة : غزيرة الماء . لاعج : محرق يَسْتَعِرُ فى القلب ويترك فيه آثاراً .

(٤) ممتن : مبتدل . ومذخور : يتخذ المرء ذخيرة يصطفى بها ويضن بها .

(٥) فسق : خرج منها إلى الضلال . والتلاد : القديم الموروث الذى يولد معك .

(٦) استغواه : طلب غوايته وضلاله . وانسلخ : نزع نفسه منه . والركاز : أصله ، قِطْع الذهب والفضة المركوزة المدفونة فى باطن الأرض . والجبلة : الطبيعة الراسخة التى يبنى عليها الخلق .

(٧) يعتسفه : يركب طريقه بلا روية ولا هداية ولا أناة .

(٩) الضراوة : اعتياد الشيء حتى لا يكاد المرء يصبر عنه . والنهمة : الشهوة

التي تسوق النفس فلا تكاد تنتهى . انبت : أتعب دابته فى السير حتى انقطعت بلا رجعة .

(١٠) الفلاة : الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس . مطموسة : دراسة

لا أثر فيها .

(١) عضل : ضاق فلم يدخل ولم يخرج .

(٤) الخبء : الخبوء . التليد : القديم الموروث . استوى : بلغ غاية نمائه واعتدل .

(٥) استحصد : حان له أن يؤتى حصاده . يعتمله : يجاهد في عمله .

(٧) يرقُ : يبرق ويتألأ .

(٩) يسفر : يشرق ويبين ويتوضح . والمدبُ : موضع ديب الأقدام .

(١٠) الدروس : ذهاب الآثار وإحاطؤها . والعفاء : تراكم التراب الذى يطمس

الآثار . استشرى البرق : تتابع لمعانه . والوميض : لمعان البرق فى نواحي الغيم .

(١١) يفصم : يفصل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله .

- ١ شَجَرَتِهِ ، يَسْقِيهَا مَتَانِقَ مِنْ يَنَابِيعِ ثَرَّةٍ فِي وَجْدَانِهِ ،
وَيُنْضِجُهَا مَشْغُوفَ بِلَاعِيجٍ مِنْ وَجْدِهِ وَأَفْتَانِهِ ، فِي غَيْرِ
مَخَافَةٍ مَرْهُوبَةٍ ، وَلَا مَنَفْعَةٍ مَجْلُوبَةٍ . فَذَاكَ إِذَنْ بِطَبِيعَتِهِ
٤ مُسْتَهْلِكٌ مُمْتَهِنٌ ، وَهَذَا لِحُرْمَةِ نَشَاتِهِ مَذْخُورٌ مُكْرَمٌ .
- ٥ وَأَقُولُ : بَلْ أَنْتَ تُحَدِّثُنِي عَنِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ فَسَقَ عَنِ تِلَادِ
٦ فِطْرَتِهِ ، وَاسْتَعْوَاهُ الشَّخَّ حَتَّى أَسْلَخَ مِنْ رِكَازِ جِبِلَّتِهِ . غَرَّةُ
٧ مَا أُوتِيَ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَاقْتَحَمَ عَلَى غَيْبِ مُدَبَّرٍ ، يَعْتَسِفُهُ
بَسْفَاهَةِ جُرْأَتِهِ . وَاسْتَخَفَّهُ مَا أُعِينَ بِهِ مِنَ الْمَشِيشَةِ ، فَهَجَمَ
٩ عَلَى خَيْرٍ مَبْذُولٍ ، يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ بِضَرَاوَةِ نَهْمَتِهِ . فَأَنْبَتَ مِنْ
١٠ يَوْمِيذٍ فِي فَلَاةٍ مَطْمُوسَةٍ بِلَا دَلِيلٍ ، يَظَلُّ يَكْدَحُ فِيهَا كَدْحًا
حَتَّى يُنَادِيَ لِلرَّحِيلِ !

- ١ جَاءَ مُيسَّرًا لشيءٍ خُلِقَ لَهُ ، فَظَلَمَهُ حَقَّهُ حَتَّى عَظِيلَ
- بَأَمْرِهِ فَتَعَسَّرَ ، وَهُدِيَ مَسَدًّا إِلَى غَايَةٍ ، فَغَفَلَ عَنْهَا حَتَّى
- تَبَدَّدَ خَطْوُهُ وَاخْتَلَّ . وَلَوْ دَانَ الْإِنْسَانُ بِالطَّاعَةِ لِفِطْرَتِهِ
- ٤ الْمَكْنُونَةِ فِيهِ مِنْذُ وُلِدَ ، لَأَفْضَى إِلَى خَبِئَتِهَا التَّلِيدِ إِذَا مَا آسْتَوَى
- ٥ نَبْئُهُ وَاسْتَحْصَدَ . وَلِصَارَ كُلَّ عَمَلٍ يَعْتَمِلُهُ ، تَدْرِيبًا
- لَمَّا اسْتَعَصَى مِنْهُ حَتَّى يَلِينَ وَيَنْقَادَ ، وَتَهْذِيًّا لَمَّا تَرَاكَ فِيهِ حَتَّى
- ٧ يَرِفَ وَيَتَوَهَّجَ . فَإِذَا دَرَبَ عَلَيْهِ وَصَبَرَ ، أَزَالَ الثَّرَى عَنْ نَبْجِ
- مُنْبَثِقٍ ، فَإِذَا أَلَحَّ وَلَمْ يَمَلَّ ، انشَقَّتْ فِطْرَتُهُ عَنْ فَيْضِ
- ٩ مَتَدَفَّقٍ . وَيَوْمَئِذٍ يُسْفَرُ لَعَيْنِيهِ مَدْبُ النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، بَعْدَ
- ١٠ دُرُوسِهِ وَعَفَائِهِ ، وَيَسْتَشْرِى فِي بَصِيرَتِهِ وَمِيزُ الْهَدْيِ
- ١١ الْمُتَقَادِمِ ، بَعْدَ رُكْدَتِهِ وَخَفَائِهِ . وَإِذَا كُلَّ عَمَلٍ يَفْصِمُ عَنْهُ

(٣) الحشاشة : روح القلب ، ورمقُ حياة النفس .

(٤) الصبوة : الحنين الداعى إلى الميل مع الهوى .

(٦) الإرث : الأصل الموروث .

(٧) السليقة : الطبيعة التى لا تحتاج إلى تعلم . معرق : أصيل : له عروق
ممتدة إلى أصوله .

(٨) غُرُضُ البشر : غَمَارُهُمْ وَكَثْرَتُهُمْ ، بلا تحديد أو تعيين .

مُتَقَنَّاً ، وكأنَّه لم يَجْهَدْ في إِثْقَانِهِ ، وإذا هو مُشْرِفٌ فِيهِ عَلَى
 الْغَايَةِ ، وكأنَّه مَسْلُوبٌ كُلَّ تَدْيِيرٍ وَمَشِيئَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْصِمُ
 ٣ عَنْهُ حِينَ يَفْصِمُ ، إِلَّا مَطْوِيًّا عَلَى حُشَّاشَةٍ مِنْ سِرِّ نَفْسِهِ
 ٤ وَحَيَاتِهِ ، مُوسَمًا بِلَوْعَةٍ مُتَضَرِّمَةٍ ، عَلَى صَبَوَةٍ فَنِيَتْ فِي
 عِشْرَتِهِ وَمُعَانَاتِهِ .

٦ فَالْعَمَلُ كَمَا تَرَى ، هُوَ فِي إِزْثِ طَبِيعَتِهِ فَنٌ مُتَمَكِّنٌ ،
 ٧ وَالْإِنْسَانُ بِسَلِيْقَةِ فِطْرَتِهِ فَنَانٌ مُعْرِقٌ .

* * *

٨ وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ الْآنَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ عُرْضِ الْبَشَرِ ،

(١) صابر : تكلّف معها الصبر على عنت ومشقة .

(٢) نَفَسًا : قليلاً يُنَفِّس عنه .

(٦) توجست : تسمعت إلى صوته الخفى على خوف .

(٧) بَيْضَةُ الصَّيْف : شدة حرّه .

(٨) مَجْتَمُهُ : جثومه فى مكمنه لا يتحرك . وَالْقُتْرَةُ : حُفْرَةُ الصَّائِدِ يَكْمُنُ

فيها . قليل التلاد : لا مال له موروث .

(٩) المِهَاد : الموضع الذى يمهده لنفسه .

- ١ يَتَعَيْشُ بِكَدِّ يَدَيْهِ ، صَابِرَ الْفَاقَةِ عَامِينَ ، يَعْمَلُ عَمَلًا يُفْلِتُ
٢ نَفْسًا مِنَ الْغِنَى إِلَيْهِ ، أَغْوَاهُ ثَرَاءُ يَنْهَرُهُ ، فَمَا كَادَ يُسَلِّمُهُ
لِلْبَيْعِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِ .

لَمْ أَعْرِفْهُ ، وَلَكِنْ حَدَّثَنِي عَنْهُ رَجُلٌ مِثْلُهُ عَمَلُهُ الْبَيَانُ ،
ذَاكَ فِطْرَتُهُ فِي يَدَيْهِ ، وَهَذَا فِطْرَتُهُ فِي اللِّسَانِ .

* * *

- ٦ هَذَا عَامِرٌ أَخُو الْخُضْرُ : تَوَجَّسَتْ بِهِ الْوَحْشُ مِنْ
٧ عَرَفَانِهَا شِدَّةَ نِقْمَتِهِ ، جَاءَتْ ظَامِعَةٌ فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ ،
٨ فَرَاغَهَا مَجْثُمُهُ فِي قُتْرَتِهِ . قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،
٩ خَفِيَ الْمِهَادُ ، غَيْرَ مُقْلَةٍ تَتَضَرَّمُ . تَبَيَّنَتْ لَمَحَ عَيْنِيهِ ،

(١) شريعة الماء : الموضع الذى ينحدر إلى الماء .

(٥) الغَيْلُ : الشجر الكثير الملتف . نَمَاهَا : رفعها وسَوَّاهَا وانتسبَتْ إليه .

(٦) اجْتَبَاهَا : اختارها واصطفأها .

(٧) انْغَلَّ : تغلغل بين شجرها . الحِشَا : الجُوف . العِيْصُ : الشجر النابت
بعضه فى أصول بعض .

(٨) أَنْحَى : وَجَّهَ وَسَدَّدَ . اخْتَلَاهَا : جَزَّهَا وقطعها .

١ فانقلبَتْ عن شريعةِ الماءِ هاربة ، ذَكَرَتْ نِكَايَةَ مَرَمَاهُ ،
فآثَرَتْ مِيتَةَ الظُّمَأْ عَلَى فَتْكَهَ الْأَسْهُمِ الصَّائِبَةِ .

وما عامرٌ وقَّوسُهُ ؟!

فَدَعِ الشَّمَّاحَ يُنْفِثْكَ عَنْ قَوَاسِيهَا الْبَائِسِ فِي حَيْثُ أَتَاهَا :

٥ أَيْنَ كَانَتْ فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ غِيلِ نَمَاهَا ؟

٦ كَيْفَ شَقَّتْ عَيْنُهُ الْحُجْبَ إِلَيْهَا ، فَاجْتَبَاهَا ؟

٧ كَيْفَ يَنْغَلُّ إِلَيْهَا فِي حَشَا عِصَى وَقَاهَا ؟

٨ كَيْفَ أُنْحَى نَحْوَهَا مِبرأتُهُ ، حَتَّى آخُتَلَاهَا ؟

كَيْفَ قَرَّتْ فِي يَدَيْهِ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ لِفَتْاهَا ؟

كَيْفَ يَسْتَوْدِعُهَا الشَّمْسُ عَامِينَ .. تَرَاهُ وَيَرَاهَا ؟

(١) اللّحاء : قشر العود من الشجر .

(٤) ذاق القوسَ : جذب وتَرها لينظر ما شدتها .

(٨) يَهْمِي : يسقط ويسيل .

(٩) رَدَّاهَا : جعله لها رِدَاءً . والبرّ : الثياب .

- ١ كَيْفَ ذَاقَ الْبُؤْسَ .. حَتَّى شَرِبَتْ مَاءَ لِحَاهَا ؟
- كَيْفَ نَاجَتْهُ .. وَنَاجَاهَا .. فَلَانَتْ .. فَلَوَاهَا ؟
- كَيْفَ سَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. فَقَامَتْ .. فَقَضَّاهَا ؟
- ٤ كَيْفَ أَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ ، إِذَا ذَاقَ ، هَوَاهَا ؟
- أَيُّ ثَكْلَى أَغْوَلَتْ إِذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا ؟
- كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا ؟ كَيْفَ يُصْنَعِي لُبَّكَاهَا ؟
- كَيْفَ رِيحَ الْوَحْشِ مِنْ هَاتِفِ سَهْمٍ إِذْ رَمَاهَا ؟
- ٨ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقًا ، فِي لَيْلَةٍ يَهْمِي نَدَاهَا ؟
- ٩ كَيْفَ رَدَّاهَا حَرِيرَ الْبَزِّ حِرْصًا وَكَسَاهَا ؟
- كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا ؟ وَتَعَالَى وَتَبَاهَى ؟

(٧) سفاها : دعاء عليه بخسران نفسه .

(٩) ثياب الخال : ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال . العصب : يرود كانت تصنع باليمن ، يغصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتى موشياً ، لبقاء ما عُصِب منه أبيض لم يأخذه صبغ . والموشى : المختلط الألوان .
(١٠) الأديم : الجلد المدبوغ . المقروط : المدبوغ بالقرظ . أربى : زاد ماله وارتفع على ما يستحقه . شراها : باعها .

كَيْفَ وَافَى مَوْسِمَ الْحَجِّ بِهَا ؟ .. مَاذَا دَهَاهَا ؟
 أَيْ عَيْنٍ لَمَحَتْ سِرَّهُمَا الْمُضْمَر ؟ .. بَلْ كَيْفَ رَأَاهَا ؟
 أَنْبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقَضُ إِلَيْهَا .. فَأَتَاهَا !!
 مَسَّهَا ذُو لَهْفَةٍ تَخْفَى .. ، وَإِنْ جَارَتْ مَدَاهَا
 - قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَوَّى !! وَأَفْدَى مَنْ بَرَاهَا
 أَنْتَ .. !! بِعَيْنِهَا ..

٧ - نَعَمْ إِنْ شِئْتَ !! [نَعْسًا وَسَفَاهًا]

- قَالَ : بِالتَّبَرِّ .. وَبِالْفِضَّةِ ، بِالْخَزِّ ... وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا

٩ بِشِيَابِ الْخَالِ .. بِالْعَصَبِ الْمُوشَى .. أَتَرَاهَا ؟

١٠ وَأَدِيمِ الْمَاعِزِ الْمَقْرُوظِ .. أَرُبَّى مِنْ شَرَاهَا !

(٢) شاة الوجه : صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس .

(٦) اشتراها : باعها .

(٧) تاه : من التَّيْه ، وهو العُجْب والفرح .

[كَيْفَ قَالَ الشَّيْخُ ؟ .. كَلَّا ! إِنَّهَا بَعْضِي ! وَالْمَالُ ؟ بَلِ الْمَالُ فَدَاهَا
 ٢ إِنَّهَا الْفَاقَةُ وَالْبُؤْسُ !! .. نَعَمْ ! .. هَذَا غِنًى !! .. كَلَّا وَشَاهَا
 بَلْ كَفَانِي فَاقَةً .. لَا ! .. كَيْفَ أَنْسَاهَا ؟ .. وَأَنْتَى ؟ ! وَهَوَاهَا]

لَمْ يَكُذِّ .. حَتَّى رَأَى نَاسًا ، وَهَمَسًا ، وَشَفَاهَا :
 بَايِعِ الشَّيْخَ ! أَخَاكَ الشَّيْخَ ! .. قَدْ نِلْتَ رِضَاهَا !!
 ٦ إِنَّهُ رِبْحٌ .. ! فَلَا يُفْلِتُكَ ! .. أَعْطَى ، وَأَشْتَرَاهَا !

٧ وَرَأَى كَفْيَهُ صِفْرًا ، وَرَأَى الْمَالَ .. فَتَاهَا
 لَمَحَةً .. ، ثُمَّ تَجَلَّى الشُّكُّ عَنْهُ .. ، فَبَكَاهَا !

(٦) آسْتَهْلُ المطر : هَطَل واشتد انصبابه .

(٧) احتفل السيلُ : جاء بملءِ جَنَبي الوادى .

(٨) ابتزّها : غلبها وعَصَبَهَا وسلبها . والبلابلُ : وساوس القلب التى تضطرب فيه . الوجَل : شدة الخوف .

(٩) مَثَل : انتصب قائما .

وَرثَاهَا بِدُمُوعٍ ، وَيَحَهُ ! كَيْفَ رَثَاهَا ؟ !
 فَتَوَلَّى .. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلَظَاهَا !
 حَسْرَةً تُطَوِي عَلَى أُخْرَى .. ، فَأَغْضَى .. وَطَوَاهَا !

* * *

فاسمع إذن صدى صوت الشِّمَّاخ :

- ٦ تَجَاوَبُ عَنْهُ كُھُوفُ الْقُرُونِ ، تَرَدَّدَ فِيهَا كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
 وَأَوْفَى عَلَى الْقِمَمِ الشَّامِخَاتِ : جِبَالٌ مِنَ الشَّعْرِ مِنْهَا آسْتَهْلُ
 ٧ تَحَدَّرُ أَنْغَامُهُ الْمُرْسَلَاتُ ، أَنْعَامَ سَيْلٍ طَعَى وَآحْتَفَلْ
 ٨ رَأَى حُمْرَ الْوَحْشِ ، فَأَبْتَرَهَا بِلَايِلَهَا مِنْ حَدِيثِ الْوَجَلْ
 ٩ رَأَاهَا ظِمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ ، فَفَرَّعَهَا عَنْهُ خَوْفٌ مَثَلْ

(٣) ذو الأراكة : موضع الماء . النَّهْل : أول الشرب عند ورد مناهل الماء .

(٤) حَلَّاهَا : طردها عن الماء ومنعها الورد .

فَطَارَتْ سِرَاعًا إِلَى غَيْرِهِ ، بَعْدُو تَضَرَّمْ حَتَّى اسْتَعْلَ
 فَلَمْ تَذُنْ حَتَّى رَأَتْ صَائِدَيْنِ ، فَصَدَّتْ عَنِ الْمَوْتِ لَمَّا أَهْلُ
 ٣ فَكَالْبَرْقِ طَارَتْ إِلَى مَأْمَنِ عَلَى ذِي الْأَرَاكِهَةِ صَافِي النَّهْلِ

٤ ... فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكِهَةِ عَامِرٌ
 أَنُحُو الْخُضْرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاحِزُ

قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ؛
 كَانَ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزٌ

(٤) راجفات الحذر : التي تُرْجَف بالقلب ، حتى يضطرب اضطرابًا شديدًا .

(٥) لَوَاهَا : صَرَفَ وجوهها عن الشرب .

(٧) الحَصَاصَة : الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال . والبئيس : الفقير البائس الشديد البؤس .

(٨) مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ : التي تنهض به داعية الفرار .

مُطْلًا بَزْرَقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيَّهَا ،
وَصَفْرَاءَ مِنْ تَبَعٍ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا الْبَيَانُ حَتَّى رَأَى بِعُيُونِ الْحُمْرِ ؟
٤ وَكَيْفَ تَعْلَقَلَّ هَذَا اللِّسَانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِفَاتِ الْحَذَرِ ..

٥ .. لَوَاهَا عَنِ الرَّيِّ عِرْفَانُهَا أَخَا الْخُضْرِ ، عِرْفَانٌ مَنْ قَدْ عَقَلَ !

وَعَلَّمَهَا أَيْنَ تُكْوَى الْجُنُوبُ بِنَارِ الطَّيِّبِ لِذَائِ نَزَلَ !

٧ وَأَنَّ الْخَصَاصَةَ قَوْسُ الْبَيْسِ ، إِذَا أَلْقَذَفَ السَّهْمُ عَنْهَا قَتَلَ !

٨ يُسَابِقُ مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَقِلَّ !

(٣) صفراء : هي القوس لصفرتها . فاقعة : خالصة اللون مُشرقة .

(٤) الحائمات : التي تحوم حول الماء عطاشًا . الحنُفُ : الهلاك . أَظَلَّ : دنا
وقَرَّبَ ، وألقى على الشيء ظِلَّهُ .

فَيَذَرُكُهَا الْمَوْتُ مَعْرُوسَةً قَوَائِمُهَا فِي الشَّرَى .. ، لَمْ تَزُلْ !
 وَعَرَفَهَا أَنَّهُنَّ السَّهَامُ : زُرْقٌ تَلَالُؤٌ أَوْ تَشْتَعِلُ !
 ٣ وَصَفَرَاءُ فَاقِعَةٌ ، أَذْكَرْتُ مَصَارِعَ آبَائِهِنَّ الْأَوَّلِ
 ٤ سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الْحَائِمَاتِ ، وَقَوْسٌ تُطِلُّ بِحَتِفٍ أَظْلُ !

تَحَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرَعٍ ضَالَةٍ
 لَهَا شَدَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
 فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاوِزُ

فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
وَيَنْغَلُّ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهَوَ بَارِزُ

فَأُنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتْ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزَوَّرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

(٢) المنسِدِلُ : الطويل المسترخى المُرسَل .

(٣) عَضِلُّ : داهيةٌ منكر شديد القلبة .

(٤) صَلَّى : دعا وعظَّم الله وقُدَّسه . هَلَّ : فرح وصاح .

(٥) الكِنْ : المكان الذى يسترها ويحجبها عن العيون .

(٦) مُهَدَّلَةٌ : مُرْخَاةٌ متدلّية . الأَسَلُ : نبات دقيق القضببان طويل شديد الاستواء .

(٧) يَبِيسُ : يابس . ذو شَوْكَةٍ : ذو شَوْكٍ . أَشْرَطَهَا نَفْسُهُ : أَعَدَّ لها نفسه ،
إِذَا أَن يَنَالَهَا أَوْ يَهْلِك ، غير مُبَالٍ .

(٨) الباتر : القاطع كالسيف . أَنَقَلَ : تغلغل . الْمُخْتَبِلُ : الذاهب العقل .

(٩) يَحْتُ الْبَيْسُ : يستأصل اليباس ويرميه . وَيُرْدَى : يسقط الرطب .
وَيُعْمِضُ : يُوْغِل .

(١٠) حَيْهَلُ : كلمة تقال للحث والاستعجال .

- ١ تَخِيرَهَا بَائِسٌ ، لَمْ يَزَلْ يُمَارِسُ أُمَثَالَهَا مُذْ عَقَلَ
- ٢ تَبَيَّنَهَا وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ ، وَمِنْ دُونِهَا سِتْرُهَا الْمُنْسَدِلُ
- ٣ حَمَاهَا الْعُيُونُ فَأَخْطَأَتْهَا ، إِلَى أَنْ أَتَاهَا خَبِيرٌ عَظِيمٌ
- ٤ رَأَى غَادَةً نَشِئَتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النِّعَمِ ، فَصَلَّى وَهَلَّ
- ٥ فَنَادَتْهُ مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ : لَيْتَكَ ! [يَا قَدْهَا الْمُعْتَدِلُ !]
- ٦ سَتُورٌ مُهْدَلَةٌ دُونَهَا ، وَحُرَاسُهَا كِرْمَاجُ الْأَسَلِ
- ٧ يَبِيسٌ وَرَطْبٌ وَذُو شَوْكَةٍ !! فَأَشْرَطَهَا نَفْسُهُ .. لَمْ يُبَلِّ
- ٨ وَسَلَّ لِسَانًا مِنَ الْبَاتِرَاتِ ، .. وَأَنْغَلَّ عَاشِقُهَا الْمُحْتَبِلُ !!
- ٩ يَحُتُّ الْيَبِيسَ ، وَيُرْدِي الرُّطَابَ ، وَيُعْمِضُ فِي ظُلُمَاتٍ تُضِلُّ
- ١٠ فَهَتَكَ أَسْتَارَهَا بَارِزًا إِلَى الشَّمْسِ .. قَدْ نَالَهَا ! حَيْهَلُ !!

(١) أَنَحَى : وَجَّهَ نَاحِيَتَهَا . اللِّسَانُ الْحَدِيدُ : هُوَ الْمِيزَانُ الْحَادِدَةُ الْقَاطِعَةُ .
حَصِيصٌ : شَدِيدُ الْخُصُومَةِ . جَدِيلٌ : شَدِيدُ اللَّدَدِ فِي الْخُصُومَةِ .

(٢) شَرِيسٌ : شَدِيدُ الشَّرَاسَةِ . عَتِيٌّ : طَالُ تَمَرُّدِهِ وَكِبَرِهِ . قَدِيمُ الْأَجَلِ :
مُتَقَادِمُ الْعَمْرِ .

(٣) الْجَذَلُ : الْفَرَحُ الَّذِي يَهْزُ الْأَعْطَافُ .

(٤) تَسْتَرِقُ : تَسْرِقُ خُلْسَةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

(٦) الْمُقْتَبِلُ : الَّذِي سَوْفَ يَسْتَقْبِلُهُ .

(٧) الْخُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ الَّتِي تَخْلُلُ النَّفْسَ . أَنْفَتَلَ : أَنْصَرَفَ عَنْهُ مُسْرِعًا مُعْرِضًا ،
وَلَوَّى وَجْهَهُ عَنْهُ .

- ١ فَأَنَحَى إِلَيْهَا اللِّسَانَ الْحَدِيدَ يَبْرُقُ .. ، وَهُوَ خَصِيمٌ جَدَلٌ
- ٢ عَدُوٌّ شَرِيسٌ ، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتِيٍّ قَدِيمٍ الْأَجَلُ
- ٣ فَأَتَكَلَّ أَمَّا غَدَنُهَا النَّعِيمُ ، وَرَاحَ بِهَا وَهُوَ بَادِي الْجَدَلِ
- ٤ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتْ عَلَى رَاحَتِيهِ ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرْقَانِ الْقُبْلَ
- ٥ رَقَاهَا ، فَأُحْيَى صَبَابَاتِهَا بِتَعْوِيدَةٍ مِنْ خَفِيِّ الْغَزْلِ
- ٦ فَنَاجَتْهُ .. ، فَأَهْتَزَّ مِنْ صَبْوَةٍ ، وَمِنْ فَرَجٍ بِالْغِنَى الْمُقْتَبَلِ
- ٧ وَأَعْرَضَ عَنْ كُلِّ ذِي خُلَّةٍ ، غَنَى بِالَّتِي حَازَهَا .. وَأَنْفَتَلَ ..

فَمَظَّعَهَا غَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،

وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِرٌ

(٣) اللحاء : قشر العود من الشجر . الحُضيلُ : الناعم الرطب الندى .

(٦) البَذَاذَةُ : رِثَاءُ الهَيْبَةِ وَسُوءُ الْحَالِ .

(٧) لَهِيْفٌ : شَدِيدُ التَّلَهُّفِ وَالْأَسَى مَخَافَةً أَنْ تَتَلَفَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى صَنِيعِهَا .

(٨) الهَجِيرُ : شِدَّةُ الْحَرِّ عِنْدَ نِصْفِ النَّهَارِ .

(٩) تَمَحَّصٌ : سَقَطَ عَنْهَا فَخَلَصَتْ مِنْهُ وَاشْتَدَّتْ . اُمْلُودَهَا : قِوَامُهَا اللَّذْنُ النَّاعِمُ .

أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَأَهَا ،
 كَمَا قَوَّمتْ ضِغْنِ الشَّمُوسِ الْمَهَامِزُ

٣ مَعَ الشَّمْسِ عَامِينَ .. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَاءٍ خَضِلٍ

وَفِي الْبُؤْسِ عَامِينَ .. يَحْيَى لَهَا ، وَيُحْيِيهِ مِنْهَا : الْغِنَى وَالْأَمَلُ

تَرَدَّدَ عَامِينَ .. مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا ، عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ

٦ يُغْنَى لَهَا ، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ ، بَادِي الْبِدَاذَةِ ، حَتَّى هُزِلَ

٧ يُقَلِّبُهَا بِيَدَي مُشْفِقٍ ، لَهِيْفٍ ، لَطِيفٍ ، رَفِيقٍ ، وَجِلٍ

٨ يُعَرِّضُهَا لِلْهَيْبِ الْهَجِيرِ ، رُؤُوفًا بِهَا ، عَاكِفًا لَا يَمَلُ

٩ فَلَمَّا تَمَحَّصَ عَنْهَا النَّعِيمُ ، وَاشْتَدَّ أُمْلُودُهَا ، وَأَنْقَطَلَ

(١) النشور : العصيان وترك الطاعة . والمُبدِل : المفرط في دلاله ، كدلال المرأة على زوجها .

(٢) الثَّقَاف : حديدة في طرفها حَرَق يتسع للقوس ، ليقوم عَوَجُها . الممثل : المحتذى بالأمر الذي يؤمر به .

(٣) المَجْفَل : ارتاعَ فارتدَّ مسرعًا .

(٥) الطريدة : قَصَبَةٌ مُجَوَّفَةٌ بقدر ما يلزم القوس ، فيها سَفَنٌ تحشين ، والسَفَن (بفتحيتين) هو ما يُسمَّى عندنا اليوم (السفرة) ، وهى عامية .

(٦) مَحِلٌّ : شديد المكر والقوة .

(٨) رَيًّا : ناعمة يَبْرُق فيها ماء الصفاء . جَفَلَ : ارتاع من حُسْنِها .

(٩) استَهَلَّت : تَلَأَلَّت . ضِعْفُهَا : عُسْرُهَا والتواؤُهَا وصعوبة انقيادها . ابتهل : أخلص في تسييح الله .

- ١ عَصَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ أَخْلَاقُهَا نُشُوزًا .. فَلَمَّا آلَتْوَتْ كَالْمِدْلِ
- ٢ أَعَدَّ الثَّقَافَ لَهَا عَاشِقٌ يُودِّبُهَا أَدَبَ الْمُثَمِّلِ
- ٣ وَعَضَّ عَلَيْهَا .. فَصَاحَتْ لَهُ ، فَاشْفَقَ إِشْفَاقَةً ، وَأَنْجَفَلَ
- فَجَسَّ ، فَعَاظَتْهُ وَأَسْتَعْلَظَتْ ، فَعَضَّ بِأُخْرَى ، فَلَمْ تُمَثِّلْ
- ٥ فَالْقَى الثَّقَافَ .. ، وَأَوْصَى الطَّرِيدَةَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا ، لَا تَكِلْ
- وَالْقَمَمَهَا قَدَّهَا ، فَأَتَبَرَّتْ تُحَاشِنُهَا بِعَلِيْظِ مَحَلْ
- يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ الْعِنَادِ ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّعْبِ ، حَتَّى تَذُلَّ
- ٨ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةٌ ، وَمَمْشُوقَةٌ الْقَدِّ رِيًّا ، جَفَلَ
- ٩ وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ ، وَلَانَ لَهُ ضِعْفُهَا .. وَأَبْتَهَلَ

وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنَّ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرَنَّمَتْ
تَرْنَمَ ثَكَلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الظُّبَى سَهْمُهَا !
وَإِنْ رِيعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

(٤) الْحَصَانُ : الحرّة الممتعة التي تعف عن الريبة .

(٥) جَهْلٌ : استنزله الشيطان واستخفه .

(٧) الْعَمَلُ : الذى يحسن العمل والحركة فيما يعمل .

(٨) أَذُوبٌ : (جمع ذنب) . أمّها : هى الشجرة التى أخذت منها القوس .

(٩) على أربع : أى على أربع طاقات ، وهو أكرم للوتر وأقوى .

(١٠) حَنَّتْ : رجّعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي . الْمُضَيَّلُ : الذى

قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه ، فهو يَشُدُّهُمْ .

- أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بِالْوَجْدِ عَامِينَ حَتَّى نَحِلَّ
يُرْلِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الْأَمَلَ
فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ ، إِذْ ذَاقَهَا ، هَوَى أَضْمَرْتُهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
تَبَيَّنَ ، إِذْ رَامَهَا ، حُرَّةً حَصَانًا ، تَعِفُّ فَلَا تُبْتَدَلُ ٤
تَلِينُ لِأَنْبِلِ عُشَاقِهَا ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهَلَ
فَأَغْضَى حَيَاءً .. ، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا ، قَدْ عَجَلَ
فَاهْدَى لَهَا حَلِيَّةً صَاغَهَا بِكَفِّهِ ، وَهُوَ الرَّفِيقُ الْعَمِلُ ٧
تَحْيَرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤُبٍ ، رَأَاهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتَظِلُّ ٨
أَعَدَّ لَهَا وَتَرًا كَالشُّعَاعِ حُرًّا .. ، عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ فُتِلَ ٩
فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ حَيْنَ الْمَشُوقِ الْمُضِلُّ ١٠

(١) كَفَّلَهَا : جعلها تكفُّلُهُ وتضمُّهُ إليها كالأم . الصغير من بنى أمها : هو أخوها السهم ، فإنهما من شجرة واحدة ، القوس والسهم أخوان .

(٤) أُنْبِضَ القوس : جذب وثرَّها ثم أرسله ، فيسمع له صوت كالبكاء .

(٥) أُرْتَتْ : صاحت صياح النائحة الحزينة .

(٦) يُفَجِّعُهَا : ينزل بها الفجعة بعد الفجعة .

(٧) أَعْرَضَ الظُّبْيُ : أمكن الرامي من عُرْضِهِ ، أى جانبه .

(٨) قَفَّاه : تبعه وجاء بعده . اضمحلَّ : سقط وانتشع .

- ١ فَكَفَّلَهَا مِنْ بَنِي أُمِّهَا صَغِيرًا ، تَرَدَّى بِرِيشٍ كَمَلْ
لَهُ صَلْعَةٌ كَبَصِيصٍ اللَّهَيْبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلُ
فَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَا رَحْمَةً ، وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ .. لَوْ عَقَلَ !
- ٤ فَجُنَّ جُنُونُ الْمُحِبِّ الْغَيُورِ .. ، فَأَنْبَضَ عَنْهَا أَبِي بَطْلُ !
- ٥ أَرَنْتِ تُبْكِي أَخَاهَا الصَّغِيرَ : وَيَحْيى !! أَخِي !! وَيَلَهُ !! أَيْنَ ضَلُّ
- ٦ فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا : أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا .. وَاتَّكَلَ !
- ٧ فَأَعْرَضَ ظَنِّي فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا .. ، وَنَادَتْهُ : هَا ! قَدْ قُتِلَ
- ٨ وَفَقَّاهُ ظَنِّي فَصَاحَتْ بِهِ .. ، فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ .. ، فَأَضْمَحَلَّ

فَابَا .. يُسَائِلُهَا : هَلْ رَضِيتِ بِتُكْلِ الْأَحِبَّةِ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

(١) تُبَادِلُ : تَبَدَّلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا شَاءَ وَيَبْدُلُهَا ، (بالذال المعجمة) .

(٧) تَنَاسَمَ : تَهْدَى إِلَيْهِ نَسِيمَهَا . وَالشَذَا : الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ .

١ فَبَاتَا بَلِيلَةَ مَعْشُوقَةٍ تُبَاذِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلَ

كَأَنَّ عَلَيَّهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ
خَوَازِنْ عَطَارِ يَمَانٍ كَوَانِزُ

إِذَا سَقَطَ الْأُنْدَاءُ ، صَيْنَتْ وَأَشْعِرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

يُغَاوِرُهَا ، وَهِيَ مُصَفَّرَةٌ ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلَ
٧ ثَنَاسِمُهُ عِطْرُهَا ، وَالشَّدَا شَدَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الْأَجَلِ

(٢) سَاهَرَهَا : بات معها ساهراً . يَزِدْهِ : يستخفُّ لُبُّهُ . وَالْعُرْفُ : الرائحة الطيبة يُعْرَفُ بها صاحبها .

(٤) الْعَيَّةُ : وعاء من أَدَمَ (جلد) تحفظ فيه الثياب . الْحَمْلُ : هُدْبُ القطيفة وزُيْرُهَا . (أى : ما يعلو القطيفة من الهُدْبِ الناعم) .

(٦) قَرَّيرٌ : قد أخذته قِرَّةُ البرد ، وهو أشدُّهُ . وَالسَّمْلُ : الثوب الخَلَقُ الدريس البالى .

- تَوَارَثْنَهُ الْغَيْدُ يَكْنِزُنُهُ لِزَيْتَتِهِنَّ ، خَفِيَ الْمَحَلُّ
- ٢ فَسَاهَرَهَا ، يَزْدَهِيهِ الْجَمَالُ وَيُسْكِرُهُ الْعَرْفُ ، حَتَّى ذَهَلَ
فَنَادَتْهُ ، وَيَحِكْ ! أَهْلَكْتَنِي ! أَغْنِنِي .. هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلَ
- ٤ فَطَارَ إِلَى عَيْنِي ضُمْنَتْ حَرِيرًا مُوشِي نَقِيَّ الْحَمَلِ
كَسَاهَا حَفِيَّ بِهَا عَاشِقُ ! إِذَا أَفْرَطَ الْحُبُّ يَوْمًا قَتَلَ
- ٦ فَالْبَسَهَا الدَّفْءَ ضِنًّا بِهَا .. وَبَاتَ قَرِيرًا .. عَلَيْهِ سَمَلُ !!

فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَانْبَرَى
لَهَا يَبِّعُ يُغْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِرُ

فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟ ! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا يَبِيعُ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ

فَقَالَ : إِزَارٌ شَرَعِيٌّ ، وَارْبَعٌ
مِنَ السَّيِّرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِرُ

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

(١) تَمِيلُ : أَخَذَ فِيهِ الشَّرَابُ وَالسُّكَّرَ .

(٤) أَمْنَةً : أَمَانٌ مِنَ الْخَوْفِ . غَوَاثِي الْوَجَلِ : مَا يَغْشَاهُ مِنَ الْخَوَافِ .

(٥) الْوَهَادُ : الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ . النَّجَادُ : الْأَرْضُ الْمَرْتَفِعَةُ . الْقُلُلُ (جَمْعُ قُلَّةٍ) :
وَهُوَ رَأْسُ الْجَبَلِ .

(٦) الصُّلُّ : حَيَّةٌ تَقْتُلُ إِذَا نَهَشَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ، لَا تَنْفَعُ فِيهَا الرِّقِيَّةُ .

(٧) الْبَائِدَاتُ الْأُولُ : عَاذٌ وَتَمُوذُ (وَهْمٌ عَرَبِيٌّ) وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجُرْهُمُ ،
وَمَا بَادَ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ .

- ١ تَمَتَّعَ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلَاتِهَا نَاعِمًا قَدْ ثَمِلَ
يَرَاهَا ، عَلَى بُؤْسِهِ ، جَنَّةً تَذَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا ، فَاسْتَظَلَّ
نُصَاحِبُهُ فِي هَجِيرِ الْقَفَارِ ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلَ
٤ فَيَحْرُسُهَا وَهُوَ فِي أَمْنَةٍ ، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الْوَجَلِ
٥ يَجُوبُ الْوَهَادَ ، وَيَعْلُو النَّجَادَ ، وَيَأْوِي الْكُهُوفَ ، وَيَرْقَى الْقُلُلَ
٦ وَيُقْضَى إِلَى مُسْتَقَرِّ الْحُتُوفِ : فِي دَارِ نِمْرٍ ، وَذَيْبٍ ، وَصَلٍ
٧ مَنَارِلَ عَادٍ ، وَأَشْقَى ثَمُودَ ، وَحِمِيرَ ، وَالْبَائِدَاتِ الْأَوَّلِ
مَجَاهِلَ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ أَنْيَسٍ ، وَلَا رَسْمَ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَّلَ
يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ ، وَمَجْدُ الْقَدِيمِ ، وَكَيْفَ أُنْقَلَبَ !
وَكَيفَ تَسَاقَى بِهَا الْأَوَّلُونَ رَحِيقَ الْحَيَاةِ وَخَمَرَ الْأَمَلِ !

(٣) الدُّمْدَمَةُ : صوت مَرَعَجٍ يَرْجُفُ عَلَى النَّاسِ وَيُطَبِّقُ .

(٤) سَاعٍ يَقَرُّ : بَيْنَا هُوَ يَسْعَى هُنَا وَهَنَّاكَ ، إِذْ ثَبَتَ مَكَانَهُ . سَاقٍ : هُوَ سَاقُ
الْخَمَرِ . أَفْلٌ : غَابَ وَهَوَى .

(٧) الصَّدِيقُ ، وَالْخِلُّ : يُقَالُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ جَمِيعًا . وَالْخِلَالَةُ : الصَّدَاقَةُ
الَّتِي تَتَخَلَّلُ النَّفُوسَ .

- وَأَيْنَ الْأَخْلَاءُ كَانُوا بِهَا يَجْرُونَ ذَيْلَ الْهَوَى وَالْعَزْلُ !
 وَمَلِكُ تَعَالَى ، وَطَاغِ عَتَا ، وَحُرُّ أَبِي ، وَحَرِيصُ غَفْلُ !
 ٣ فَدَمْدَمَ بَيْنَهُمْ صَارِخُ : بَقَاءٌ قَلِيلُ !! وَدُنْيَا دُولُ !!
 ٤ فَعَرَّشَ يَخْرُ ، وَسَاعَ يَقْرُ ، وَسَاقِ يَمِيلُ .. وَنَجْمُ أَفْلُ !!
 زَهْدْتُ إِلَيْكَ ! وَفَارَقْتُهُمْ : أَخْلَاءَ عَهْدِ الصَّبَا وَالْجَدَلِ
 فَنِعَمَ الصَّدِيقُ ! وَنِعَمَ الْخَلِيلُ ! وَنِعَمَ الْأَنْيَسُ .. وَنِعَمَ الْبَدَلُ !!
 ٧ صَدِيقُ صَدَاقَتِهَا حُرَّةٌ ، وَخَلُّ خِلَالَتِهَا لَا تُمَلُّ

وَعَابَا مَعَا عَنْ عُيُونِ الْخُطُوبِ ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَدَلٍ
 وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ الْعَاشِقَيْنِ ، تُضْيِئُ الدُّجَى لِذَيْبِ الْمَلَلِ

(١) تُسْتَهْلُ : ترقع الصوت إهلاً بالبحج ، وتلبيةً لله سبحانه .

(٢) أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ : هو ما أمر الله به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) . الْمَهْلُ : الاستنظار والتؤدة .

(٥) ظِمَاءُ الْقَطَا : القَطَا الوارد الماء . وَالْقَطَا : طائر كالحمام (أصغر منه) يقيم
في الفياق ، يطير طيرًا سريعًا في طلب الماء ، وينى أفحوصًا في الأرض ، ويبيض فيه
بَيْضَتَيْنِ مُرْقَطَتَيْنِ . مُحْتَفِلٌ : فيه محافل الناس ومجامعهم .

(٨) جَافِلَةٌ : مذعورة تكاد ترتد من الفزع . جذوة النار : الجمرة الملتهبة .
الْمَقْلُ (جمع مُقْلَةٍ) : وهى العين سوادها وبياضها .
(٩) الكاسر : من جوارح الطير الذى ضم جناحين وانقص . تقاذف : هوى
على عجل . شَعَفَاتُ الْجَبَلِ : رؤوسه وقممه .

- ١ وَطَالَ الزَّمَانُ ، فَحَنَّتْ بِهِ إِلَى الْحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهْلُ
- ٢ أَذَانُ مِنَ اللَّهِ ! كَيْفَ الْقَرَارُ ! وَأَيْنَ الْفِرَارُ ؟ وَكَيْفَ الْمَهْلُ ؟
- تُرَدِّدُهُ الْبَيْدُ بَيْنَ الْفَجَاجِ ، وَفَوْقَ الْجِبَالِ ، وَعِنْدَ السُّبُلِ
- أَصَاخَ لَهُ ، وَأَصَاخَتْ لَهُ ، وَلَبَّتُهُ فَاْمَتَلَتْ ، وَامْتَلَتْ
- ٥ وَطَارًا مَعًا كَظُمَاءِ الْقَطَا ، إِلَى مَوْرِدِ زَاخِرٍ مُحْتَفِلٍ
- فَوَافِي الْمَوَاسِمِ ، فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ : مَنْ أَرَى ؟ .. أَيْنَ ضَلُّ ؟
- أَسْرَ إِلَيْهَا : أُولَاكَ الْحَجِيجُ !! فَلَبَّى لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ
- ٨ وَنَادَتْهُ جَافِلَةٌ : مَا تَرَى ! أَجْدُودَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلَّ ؟
- ٩ فَمَا كَادَ .. حَتَّى رَأَى كَاسِيرًا تَقَادَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الْجَبَلِ

(١) نَوُجٌ : تتلهب ، ويسمع لتلهبها صوتٌ ، وهو أجيج النار . وتكفُ : تمنعه وتحجزه .

(٤) المحتيل : المخادع الذى يطلب غفلة الصيد .

(٧) تنكَّب القوسَ : وضعها على منكبيه .

(٨) المُنَاد : المعرَّج . اعتمل : جاهد فى عملها .

(٩) مأكرة : كلمة مكر .

- ١ يُدَانِي الْخُطَا ، وَهُوَ نَارٌ تَوُجُّ ، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ الْعَجَلَ
وَمَدَّ يَدًا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلٍ
وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلُّ
٤ فَلَمَّا أَهْلٌ وَالَّقَى السَّلَامَ ، وَافْتَرَّ عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَبِلِ
وَقَالَ : أَذْنْتُ ؟ ! وَيُمنَى يَدَيْهِ تَمَسُّ أَنَامِلَهَا مَا سَأَلَ
رَأَى بَائِسًا مَا لَهُ حُرْمَةٌ تَكُفُّ أَذَى عَنْهُ .. ، بُؤْسٌ وَذُلٌّ
٧ وَقَالَ : فَدَيْتِكَ ! مَاذَا حَمَلْتَ ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ يَاذَا الرَّجُلُ ؟ !
٨ وَافْدَى الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا ، وَقَوَّمَ مُنَادَهَا ، وَاعْتَمَلَ !!
٩ فَهَزَنَتْهُ مَآكِرَةٌ ، لَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُ بِهَا السَّمْعُ ، حَتَّى غَفَلَ

(١) المِحَال : الكيد والمكر الشديد الخفى . ذَلِيق اللسان : فصيح اللسان
طَلِيقُهُ .

(٢) رَاَزَ الشَّيْءَ : وضعه فى كفه ليعرف ثقله وامتنحنه . وَمَعَاظِفُ الْقَوْسِ :
مقدار انعطافها إذا حَتَّاهَا وَشَدَّ وَتَرَّهَا .
(٣) الْهَبِيلُ : تُكَلُّ الْوَلَدِ .

(٤) خَالَسَهَا : نظر إليها خلسة . خَفَضَتْ : سَكَتَ . الْقَوَارِبُ : أعلى الموج .
الْجَأَشُ : رُوعَ الْقَلْبِ إِذَا اضْطَرَبَ عِنْدَ الْفَرْعِ . الْوَهْلُ : الْفَرْعُ الْمَلْحَقُ بِالْجَنُونَ .

(٩) رَامَ الشَّيْءَ يَرُومُهُ : طلبه وأرادَه . التَّلَادُ : المال الموروث الذى ولد عندك .
الْجَلِيلُ : الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ الْقَدْرُ .

- ١ فَاسْلَمَهَا لِشَدِيدِ الْمَحَالِ ، ذَلِيقِ اللِّسَانِ ، خَفِيَ الْجِيلُ
- ٢ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتِهِ ، وَرَارَ مَعَاطِفَهَا وَالثَّقْلُ
- ٣ دَعَتْ : يَا خَلِيلِي ! مَاذَا فَعَلْتَ ؟! أَسْلَمْتَنِي ؟! لِسَوَاكِ الْهَيْلُ !!
- ٤ فَخَالَسَهَا نَظْرَةً خَفَضَتْ غَوَارِبَ جَاشٍ غَلَا بِالْوَهْلِ

- وَقَالَ : لَكَ الْخَيْرُ ! فَدَيَّتَنِي بِنَفْسِكَ !!

- بَارِ قِسِي !

- أَجَلُ !!

- فَبِعَنِي إِذَنْ !!

- هِيَ أَعْلَى عَلَيَّ ، إِذَا رُمَتْهَا ، مِنْ تِلَادٍ جَلَلٍ !

(٣) تشتريها : تبيعها .

(٦) البخلُ (بفتحين) : هو البُخل .

(٨) باسمها : نَظَر إليها نظرة سَحَرٍ مُبْتَسِم .

(١٠) دهاك : أصابك بداهية . الخَبَلُ : الجنون .

- فَقَالَ : نَعَمْ ! لَكَ عِنْدِي الرُّضَى ، وَفَوْقَ الرُّضَى !

- [وَيْلُهُ مِنْ مُضِلٍّ !]

٣ - فَهَلْ تَشْتَرِيهَا ؟ ...

- نَعَمْ أَشْتَرِي !

- لَكَ الْوَيْلُ مِثْلَكَ يَوْمًا بَخْلٍ !

٦ - فَدَيْتَكَ !! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ ! .. مَا بِي فَقْرٌ وَلَا بِي بَخْلٌ !

فَنَادَتْهُ ، وَتَحَكَ ! هَذَا الْحَبِيثُ ! خُذْنِي إِلَيْكَ ، وَدَعْ مَا بَدَلَ

٨ فَبَاسَمَهَا نَظْرَةً .. ، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةً سُخْرٍ مُطْلٍ :

- بَكِّم تَشْتَرِيهَا ؟ ...

١٠ فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ ! حَذَارِ ! دَهَاكَ الْحَبْلُ !!

(١) نَضَحْتُ : فَضَّيْتُ مَكْرَهَا كَالْعَرَقِ . دَعَّ عَنْكَ : احذر . تُغْتَفَلُ : تُؤْخَذُ
من غَفَلْتِكَ .

(٢) الشَّرْعَبِيُّ : ثِيَابٌ جَيَادٌ سَابِغَةٌ . وَالسَّيْرَاءُ : بُرْدٌ فِيهِ سَيُورٌ يَخَالِطُهَا الْحَرِيرُ .

(٣) التُّجَارُ (جمع تاجر) .

(٤) جَلَاها : صَفَلَهَا . الْهَرَقْلِيُّ : الرَّومِيُّ ، نَسَبَةٌ إِلَى هِرَقْلٍ الْمَلِكِ .

(٦) خَالٍ : مَكَانٌ تُصْنَعُ فِيهِ الْبُرُودُ الْجَيِّدَةُ .

(٨) الْغَدِيرُ : مَكَانٌ يَغَادِرُ السَّيْلَ فِيهِ بَعْضُ الْمَاءِ . وَالْوَشَلُ : الْمَاءُ يَتَحَلَّبُ مِنْ
جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، لَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ .

١ لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرَهَا عَلَيَّ ، فَدَعَّ عَنْكَ ! لَا تُعْتَمَلْ

٢ - فَقَالَ : إِزَارٌ مِنَ الشَّرْعِيِّ ، وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيرَاءِ الْحُلِّ

٣ بُرُودٌ تَضِيءُ بِهِنَّ التَّجَارُ إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكَ أَجَلٌ

٤ وَمِنْ أَرْضٍ قَيْصَرَ : حُمْرٌ ثَمَانٍ جَلَاها الْهَرَقْلِيُّ ، مِثْلُ الشُّعْلِ

ثَمَانٍ ! تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى ! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ ، نَعَمَ الْبَدَلُ !

٦ وَبُرْدَانٍ مِنْ نَسِجٍ خَالٍ ، أَشْفُ وَأَنْعَمُ مِنْ حَدِّ عَذْرَاءٍ .. ، بَلْ

إِذَا بَسِطَاتُ حَتَّ شَمْسُ النَّهَارِ ، فَالْشَّمْسُ تَحْتَهُمَا .. ، لَيْسَ ظِلٌّ

٨ وَتَسْعُونَ مِثْلَ عُيُونِ الْجَرَادِ .. ، بَرَّاقَةٌ كَعَدِيرِ الْوَشَلِ

كَمِرَّةٍ حَسَنَاءَ مَفْتُونَةٍ ، كَرَّاسٍ سِنَانٍ حَدِيثٍ صَقِلْ

(١) الأديم : الجلد المدبوغ اللين . الحُصْل (جمع نُحْصَلَة) : وهى لفيفة من الشعر مجتمع .

(٣) غمغمَةٌ : الكلام الذى لا يتبينه السامع . والنَغْيَةُ : كلمة ذات نغمة .
والزَّارَى : العائب المظهر للاحتقار .
(٤) الإِسَارُ : الأسر . والسُّوَام : المساومة فى البيع . والشَّرَاك (جمع شرك) :
وهو حباله الصائد يرتبك فيها الصيدُ . آحْتَبِلَ : وقع فى حباله الصائد .

١ أَجَلٌ .. !! وَأَدِيمٌ كَمِثْلِ الْحَرِيرِ ، يُطَوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ الْخُصَلِ

٢ وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الرَّحَامِ ، وَأُذُنٌ تَمِيلُ ، وَرَأْسٌ يُطَلُّ
وَعَمَقَمَةٌ ، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ ، وَنَفْيَةٌ زَارٍ ، وَآتٍ سَأَلُ

٣ وَعَاشِقَةٌ فِي إِسَارِ السُّوَامِ !! وَعَاشِقُهَا فِي الشَّرَاكِ آخِثِلُ
تُنَادِيهِ مَلْهُوفَةٌ تَسْتَعِيثُ ، ضَائِعَةُ الصَّوْتِ .. ، عَنْهَا شُغْلُ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا ،
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ
فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِنَجٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ

(٢) السُّورَةُ : المنزلَةُ الرفيعةُ المشرقةُ الظاهرةُ . خَلَجَاتُ الخَبْلِ : ما يتجاذب
المخبول من الاضطراب ، فتتفكك أوصاله ، ويتأيل يمنة ويسرة .
(٣) الْفَلَاتُ (جمع قَلْبٍ ، يسكون اللام) : ثُقرةٌ في الجبل يقطر فيها ماءٌ
واشَلٌ من سقف أو كهف ، وهو أصفى ماء . والعُرْنين : أوَّلُ الأنفِ تحت مجتمع
الحاجبين ، حيث يكون الشَّمَمُ ، وهو دليل على كرم الأصل .
(٤) الزَّاكِي : النابت في نعمة وخصب وكرم . نَمَاهُ : جعله ناميًا ممتلئًا ناعمًا .
والسَّرَاءُ : المروعة والسخاء والشرف .

(٧) كَادَهُ بعقله : آحتال عليه وغلب عقله . المَجْلُ : الشديذُ المكر والدهاء .
(٨) وَئِكَ : مثل ، ويليكَ ، تعجب وتهديد . السَّقَاهُ : السفه والطيش .
العَدِينُ : الصديق المصاحب . والعِجْلُ : الصديق المتداخل المودة .

[أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ! .. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلُ ؟ !

٢ أَجَنٌّ ؟ ! نَعَمْ .. لَا ! .. أَرَى سُورَةً مِنَ الْعَقْلِ ، لَا خَلَجَاتِ الْخَبْلِ !

٣ وَعَيْنِي صَفَاءٌ كَمَا الْقَلَاتِ ، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمًا وَاعْتَدَلْ

٤ وَجَبْهَةً زَاكِ ، نَمَاهُ التَّعِيمُ فِي سُودْدٍ وَسَرَاءٍ نُبْلِ

أَيُعْطَى بِهَا الْمَالُ ؟ ! هَذَا الْخَبَالُ ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا ؟ تُكِلُّ !!

وَيَارَبَّ ! يَارَبَّ ! مَاذَا أَقُولُ ؟ .. أَقُولُ نَعَمْ ! .. لَا ! فَهَذَا خَطْلٌ

٧ أَيْعُ !! وَكَيْفَ ! .. لَقَدْ كَادَنِي بِعَقْلِي هَذَا الْخَبِيثُ الْمَحِلُّ

٨ أَفَارِقُهَا ! وَيْلَكَ !! هَذَا السَّفَاهُ ! قَوْسِي ! كَلَّا ! حَدِيثِي وَخِلَّ !!

أَجَلْ !! بَلْ هُوَ الْبُؤْسُ بَادٍ عَلَيَّ ! فَاغْرَاهُ بِي ! وَيَحَهُ ! مَا أَضِلُّ !!

يُسَاوِمُنِي الْمَالُ عَنْهَا ؟ ! نَعَمْ ! .. إِذَا لَيْسَ الْبُؤْسُ حُرًّا أَذِلُّ

(٣) النُّكْر : الدهاءُ المنكر الخبيث . آهْتَبَلَ الْفُرْصَةَ : اغتنمها وَأَفْتَرَصَهَا عَلَى غُفْلَةٍ .

(٥) السُّفْلُ (جمع سِفْلَة) : وهم أراذل الناس وسُفَّاطهم .

(٨) حَبَاه : أعطاه فأكرمه . فاطر النَّيِّرَات : المبتدئ خلق الكواكب المنيرة .
وباري النَّبَات : خالقه .

(١٠) الْهُون : الهوان والخِزْي . وَالْقَلُّ : القلة والنقص .

- إِذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيهِ الْعُيُونُ ، وَإِنْ قَالَ رُدَّ كَانَ لَمْ يَقُلْ
 نَعَمْ ! إِنَّهُ الْبُؤْسُ !! أَيْنَ الْمَفْرُ مِنْ بَشَرٍ كَذْنَابِ الْجَبَلِ ؟!
 ٣ ثَعَالِبُ تُكْرِ تَجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلُ
 كِلَابٌ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبْصِصُ بَيْنَ يَدَيِ مَنْ يَذَلُ
 ٥ فَوَيْحِي مِنَ الْبُؤْسِ ! .. وَيْلٌ لَهُمْ !! أَرَى الْمَالَ نُبْلًا يُعَلَّى السَّفْلُ
 فَخُذْ مَا أُتَيْتَ بِهِ .. !! إِنَّهُ مَلِيكَ يُخَافُ ، وَرَبُّ يُجَلُّ
 وَسُبْحَانَ رَبِّي ! يَدِي ! مَا يَدِي ؟ ! بَرَيْتُ الْقِسِيَّ بِهَا لَمْ أَمَلْ !
 ٨ حَبَانِي بِهَا فَاطِرُ النَّيَّاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ !
 وَأَوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِمٌ خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ !
 ١٠ وَفِي الْمَالِ عَوْنٌ عَلَى مِثْلِهَا ! وَفِي الْبُؤْسِ هُونٌ ، وَذُلٌّ ، وَقُلٌّ !]

(٢) أَجَشُّ : فيه جُشَّة ، أى غلظ وبحة . صَلَّ الصوت : إذا خالطته حِدَّة
كأنها صوت حديد على الصفا .

(٣) آخُتِلَ : أخذه الخَبَل ، كالجنون المضطرب .

(٤) أَشْفَى : أشرف . يَسْتَقِلُّ : ينهض .

(٦) وَغَوَّعَ : صوت مختلط كَوَغَوَّعَةِ الكلاب . وَالزَّجَلُ : الجلبة كأصوات
اللاعبين .

(٧) يُوْجُّ : يُصَوِّتُ بكلام مرتفع سريع . وَيَعِجُّ : يصيح صياحا عاليا

كالهدير . وَيَخُورُ : يصيح بصوت غليظ كخُورِ الثَّور . وَصَهَلَ : أخرج صوتا مبحوحا
كصهيل الخيل .

(١٠) الْحَشْرَجَةُ : غَرَّغَةُ المَيْتِ ، وَتَرَدَّدَ نَفْسِهِ .

- ١ تَنَادَوْا بِهِ : أَنْتَ ؟ مَاذَا أَهَّاكَ ؟ ! مَالِكُ يَا شَيْخُ ؟ ! قُلْ يَا رَجُلُ !
- ٢ وَأَتِ يَصِيحُ ، وَكَفَّ تُشِيرُ ، وَصَوْتُ أَجَشُّ ، وَصَوْتُ يَصِلُ !
- ٣ وَطَنْتُ مَسَامِعُهُ طَنَّةً .. ، وَزَاغَتْ نَوَاطِرُهُ وَأَخْتَبِلُ
- ٤ وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ الْمَرِيضِ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ مَا يَسْتَقِلُّ ..
- تَنَادِيهِ : وَيَحَكَ ! وَيَحَى ! ! هَلَكْتُ ! ! أَتُوكَ بِقَاصِمَةٍ ! وَاتَّكَلُ !
- ٦ تَلَفَّتْ يُصْغَى .. ، وَمِثْلُ اللَّهْيَبِ ضَوْضَاءُ وَغَوَّعَةٍ فِي رَجَلِ
- ٧ فَهَذَا يُؤْجُ .. ، وَهَذَا يَعِجُّ .. ، وَهَذَا يَخُورُ .. ، وَهَذَا صَهْلُ !
- وَدَانِ يُسِرُّ .. ، وَدَاعِ يَحُثُّ .. ، وَكَفَّ تُرَبُّتُ : بَغِ يَا رَجُلُ !
- لَقَدْ بَاعَ ! بَغِ ! بَاعَ ! لَا لَمْ يَبِعْ ! غَنَى الْمَالِ ! وَيَحَكَ ! بَغِ يَا رَجُلُ !
- ١٠ [وَحَشْرَجَةُ الْمَوْتِ : تُحَذِّنِي ... إِلَيْكَ ! !

- كَيْتِكَ !! لَيْتِكَ !

بُعْ يَا رَجُلُ !!

[أَغْنِنِي ! . أَجَلُ !]

بَاعَ ! ماذا ؟ أْبَاعَ ! نَعَمْ بَاعَ !! قَدْ بَاعَ ! حَقًّا فَعَلَ ؟

[أَغْنِنِي ! أَغْنِنِي ! نَعَمْ !]

قَدْ رَبِحْتَ !! .. بُورِكَ مَالُكَ !

أَيْنَ الرَّجُلُ ؟

مَضَى ! ... أَيْنَ ! .. لا ، لَسْتُ أَذْرِي ! .. مَتَى ؟

لَقَدْ بَعْتَ ؟ ! ... كَلَّا وَكَلَّا ... أَجَلُ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَعْتَ !

كَلَّا ! كَذَبْتَ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَاعَ !

- وَيَجِي ! أَجَلُ

(٦) الْحَمِيمُ : الماء الحار . نَسْتَهْلُ : نَتَصَبُّ .

(٧) لَاعَجَ : مُخْرِقٌ . الْحَبْلُ : اضطرابُ الجنون .

(٨) غَامَتْ : أَصَابَهُمَا غَيْمٌ كَالسَّحَابِ . وَيَهْطُلُ : يَسِيلُ مُتَابِعًا .

(٩) هَيْضَ : انْكَسَرَ وَتَذَلَّى . وَأَعْتَقِلَ : حَبَسَ وَمُنِعَ الْكَلَامَ .

لَقَدْ بَعَثَهَا .. بَعَثَهَا .. بَعَثَهَا .. جُزِئْتُمْ بِخَيْرِ جَزَاءٍ ، أَجَلٌ !! ..
 أَجَلٌ .. بَعَثَهَا .. بَعَثَهَا .. بَعَثَهَا !! أَجَلٌ بَعَثَهَا !! لَا . أَجَلٌ لَا . أَجَلٌ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عِبْرَةً ،
 وَفِي الصَّدْرِ حَزَارٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزٌ

- [أَجَلٌ .. لَا .. أَجَلٌ بَعَثَهَا ! بَعَثَهَا ! .. أَجَلٌ بَعَثَهَا ! بَعَثَهَا ! .. لَا .. أَجَلٌ]
- ٦ وَفَاضَتْ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الْحَمِيمِ ، لَذَاعَةٌ ، نَارُهَا تَسْتَهْلُ
- ٧ بُكَاءٌ مِنَ الْجَمْرِ جَمْرِ الْقُلُوبِ ، أُرْسَلَهَا لَاعِجٌ مِنْ خَبَلٍ
- ٨ وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهِ ، وَاسْتَنْزَفَتْ دَمَ الْقَلْبِ يَهْطِلُ فِيمَا هَطَلْ
- ٩ وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ ، وَهَيْضَ اللِّسَانِ لَهَا وَاعْتَقِلْ

(٢) تَخَاذُل : تتخاذل ، يَخْذُل بعضها بعضًا .

(٤) السَّوَام : المساومة في البيع . والأُرُوم : أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها . مَثَل : انتصب .

(٥) صُلُود : صُلْبٌ أملس . عُتْلٌ : غليظ ثقيل ثابت .

(٦) الدَّيْبَى : الجراد قبل أن يطير . تَنْزَى : تثب وتتنقر . دهاه : غشيه وأصابه .
والطُّل : المطر الخفيف .

(٩) كَرَكَرَ الضاحك : ردَّد الضحك .

(١٠) السَّمْتُ : الهياة .

- وَأَغْضَى عَلَى ذِلَّةٍ مُطْرِقًا ، عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ مِثْلُ الْجَبَلِ
 ٢ أَقَامَ .. ، وَمَا إِنَّ بِهِ مِنْ حَرَكَ ، تَخَاذُلَ أَعْضَاؤُهُ كَالَأَشْثَلِ
 وَفِي أُذُنَيْهِ ضَجِيجُ الرَّحَامِ ، وَ« بَعْ بَاعَ ، بَعْ بَاعَ ، بَعْ يَا رَجُلُ ! »
 ٤ وَأَخْلَدَ فِي حَيْثُ طَارَ السُّوَامُ بِمُهْجَتِهِ ، كَأُرُومٍ مِثْلُ
 ٥ كَانَ صَخْرَةً نَبَتَتْ ، حَيْثُ قَامَ ، تِمْتَالُ حُزْنٍ صَلُودٍ عُتْلُ
 ٦ وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبْيِ عِجَالًا تَنْزَى ، دَهَاہُنَّ طُلُ
 فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ ! رَدَّتْ عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلَ !
 وَمِنْ هَامِسٍ : وَيَحَهُ مَا دَهَاہُ ! وَمِنْ مُنْكَرٍ : كَيْفَ يَبْكِي الرَّجُلُ !
 ٩ وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرَكْرَتْ ضَحْكَةً لَهُ مِنْ مَزُوجٍ خَبِيثٍ هَزَلُ
 ١٠ وَمِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آكِلًا ! تَلَبَّسَ فِي سَمْتٍ مَنْ قَدْ أَكَلَ !

(١) هَيْئَةً : الكلامُ الخَفِيُّ كالدُّنْدَنَةِ . غَمَعَمَتْ : آختَلَطَتْ ولم تَتَبَيَّن .

(٣) الزَّوْعَى : الصوتُ المتداخِلُ كأصواتِ الحِلِّ المجْتَمِعِ . يَصِلُّ : يكونُ له صوتٌ كأصواتِ أجوافِ الخَيْلِ إِذَا عَطِشَتْ .

(٤) أَسْفَرَ : أَشْرَقَ . أَتَجَابَّ : انْكَشَفَ . الْمُخْبِثُ : الخَاشِعُ المتضائلُ .

(٥) سَبْتَةٌ : سكونٌ وإِطْرَاقٌ بلا حراكٍ .

(٦) الوَقِيدُ : المريضُ الدَّيْفُ المُشْفَى على الهلاكِ .

(٩) هَامٌ مُحَلَّقَةٌ : رُؤُوسٌ مخلوقةٌ . رُجِفَ (جمع راجف) : ترتجف وتضطرب . تَزِيْعُ البَصَلُ : المتزوعُ بجذوره .

(١٠) أَغْرِبَةٌ (جمع غُرَاب) . حَجَلٌ : يَمْشِي مَشْيَةً قَبِيحَةً ، وهى مَشْيَةُ الغراب .

١. وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَّهُ كَالْمُعْزَى ، وَهَيْمَةٍ غَمَعَتْ لَمْ تُقَلِّ
- وَمِنْ مُشْفِقٍ سَاقٍ إِشْفَاقُهُ وَوَلَّى ، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُؤَلِّ
٣. وَسَالَتْ جُمُوعُهُمْ فِي الرَّمَالِ .. ، وَمَاتَ الْوَعَى .. غَيْرَ حَسٍّ يَصِلُ
٤. وَأَسْفَرَ وَأَنْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُحِبِّ خَاشِعٍ كَالْمُصَلِّ
٥. وَظَلَّ طَوِيلًا .. لَهُ سَبْتَةٌ ، وَإِطْرَاقَةٌ ، وَأَسَى يَنْهَمِلُ
٦. أَفَاقٌ وَقِيدًا ، بَطِيءٌ الْإِفَاقَةِ .. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالْمُطَلِّ
- وَقَلَّبَ عَيْنَيْهِ : مَاذَا يَرَى ؟ وَأَيْنَ الرَّحَامُ ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلُ !
- رَأَى الْأَرْضَ تَمْشِي بِهِمْ كَالْحَيَالِ ، أَشْبَاحُهُمْ خُشْبٌ تَنْتَقِلُ
٩. وَهَامٌ مُحَلَّقَةٌ رُجْفٌ ، وَأُخْرَى بَدَتْ كَنْزِيعِ الْبَصَلِ
١٠. وَأَغْرَبَةٌ : بَعْضُهَا جَائِثٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا ، وَبَعْضٌ حَجَلٌ

(١) الحَيَازِم (جمع حَيَزَم) : وهو ما اكتنف الحُلُقُوم . والقُلُل : الرؤوس ،
والحية تَفْعَل ذلك وهي تَشْمَس .

(٢) أَرْفَلَة : الجماعة تأتي مسرعة . والضَّبَاع : من لعام الحيوان . تَحْمَعُ :
تعرج . هَمَل : مهملّة ملقاة .

(٣) الضَّبَاب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل . مَرَقَن : خرجن مسرعات
كالسهم من الرميّة (المرميّة) . حَفَل : احتفل بموجه .

(٥) السَنَة : خفة النَّعَاس .

(٦) الأَعْطَاف (جمع عَطِيف) : وهو الجانب ، من الرأس إلى الورك .

(٧) الكَبَل : القَيْد الضخم الثقيل . يَخْتَلِجُ الشيء : ينتزعه . والعَل : القيد
الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق .

(٨) النَاشِط : الجاذب الدلو من البئر . والرِّشَاء : حبل الدلو الطويل .

(٩) مُلْجَلْجَة : مترددة ثقيلة لا تكاد تخرج أو تدخل . هَلَل : فَرَع و فَرَق
و نَكُوص .

- ١ وَحَيَّاتُ وَادٍ ، لِشَمْسِ الضُّحَى ثُلَوَى حَيَازِيمِهَا وَالْقُلُلُ
- ٢ وَأَرْفَلَةٌ مِنْ ضِبَاعِ الْفَلَاةِ تَحْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلْ
- ٣ وَهَنَّا وَهَنَّا ضِبَابُ مَرْقَنَ مِنْ كُلِّ جُحْرِ لَسِيلِ حَفَلْ
- وَتَوْبُ يَطِيرُ بِلَا لَابِيسَ ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أَنَّى تَمَلْ
- ٥ تَمَطَّى بِهِ الْبَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ ، وَمِنْ سِنَةِ كَفْثُورِ الْكَسَلْ
- ٦ وَدَبَّتْ إِلَيْهِ بَقَايَا الْحَيَاةِ ، فَرَقَعَ أَعْطَافَهُ وَأَعْتَدَلْ
- ٧ وَظَلَّ يُتَارَعُ كَبَلُ الدُّهُولِ ، وَيَخْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلْ
- ٨ كَنَاشِطٌ ثَقِيلٌ طَوِيلُ الرِّشَاءِ مِنْ هُوَةٍ فِي حَضِيضِ الْجَبَلْ
- ٩ رُوَيْدًا ، رُوَيْدًا ، فَتَابَتْ لَهُ مُلْجَلَجَةٌ يَعْتَرِيهَا هَلَلْ
- وَمِثْلُ الْحَمَامَةِ بَيْنَ الضُّلُوعِ قَدْ آتَتْفَضَتْ مِنْ غَوَاشِي بَلَلْ

(١) رَكِيمٌ : على الأركان ثقيل .

(٢) لَأَيًّا بِلأى : بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس .

(٣) خامرہ : غشى نفسه . أبلً : برأ من مرضه وأفاق .

(٦) تزهـر : تتلأأ . تأتكلُ : تنوهج كالنار إذا اشتد لها ، وأكل بعضها بعضاً .

(٧) انظر : البيت الثاني ص : ٥١ .

(٨) الغنى : ما أخذه من المال والمتاع ، فكان له غنى . انتحى : اعتزل ناحية .

- ١ يُقَلِّبُ جُمُجُمَةً ، خَالَهَا كَجُلُودِ صَخْرٍ رَكِينِ حَبَلٍ
- ٢ فَلَأْيَا بِلَايٍ ، وَآبَتْ لَهُ مُبَعَثَةٌ مِنْ أَقَاصِي الْعِلَلِ
- ٣ وَنَفَسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً ، وَخَامَرَهُ الْبُرْءُ حَتَّى أَبْلُ
- أَحْسَ بِكَالْجَمْرِ فِي رَاحَتَيْهِ : سَعِيرٌ تَوَقَّدَ !! مَاذَا آخْتَمَلَ ؟
- وَيَسْطُ كَفِّيهِ : مَاذَا أَرَى ؟ جَوَابٌ حَيْثُ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ !!
- ٦ عَيُونٌ تُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ ، مِنْ الْخُبْثِ تَزْهَرُ أَوْ تَأْكِلُ !!
- ٧ [أَجَلُ بَعْتُهَا ؟ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. بَقَاءٌ قَلِيلٌ ، وَدُنْيَا دُولُ !]
- ٨ وَالْقَى الْعَنَى لِلثَّرَى ! وَاتَّحَى ، وَنَفَضَ كَفِّيهِ : [حَسْبِي ! أَجَلُ]

- (٢) الغُلُلُ (جمع غُلَّة) : وهى حرارة الحزن .
(٣) المُضْمَرَات : البعيدة التى يخفى مكانها . والغُيُوب (جمع غَيْب) : وهو الأرض المطمئنة ، التى يغيب فيها سالكها . والبلابلُ : قَلِقَات الهموم . والسَّجِلُ : الكتاب أو الصُّكُّ الذى يطوى .
(٤) نوافذُ : ماضيات ، كالسهام تنفذ فى النفس . تَنْتَضِلُ : تترامى وتختصم .

- (٩) تَدَجَّى : لبسه الظلام .
(١٠) الآية : العلامة العجيبة ، وهى يده . نَصَلَ : طَفَىَ لونها وذَهَبَ .

- وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتِ الثِّيَابِ وَالْبَزَّ نَظْرَةً لَا مُحْتَفِلَ !
 ٢ وَوَلَّى كَهْمِيًا ، ذَلِيلَ الْخُطَا ، بَعِيدَ الْأَنَاءِ ، خَفِيَ الْعُلَلُ !
 ٣ وَأَوَّغَلَ فِي مُضْمَرَاتِ الْغُيُوبِ يَطْوِي الْبَلَابِلَ طَى السَّجَلُ
 ٤ أَرَادَ لِيَنَسَى ، وَيَبِينَ الضُّلُوعَ نَوَافِذُ مِنْ ذِكْرِ تَنْتَضِلُ
 فَأَحْيَتْ صَبَابَتَهُ ، وَالْجِرَاحُ دِمَاءُ مُفْرَعَةٍ لَمْ تَسِلْ
 ثَرِيهِ الرُّؤْيَى وَهُوَ حَى النَّهَارِ ، وَتَسْرَى بِهِ وَهُوَ لَمْ يَنْتَقِلْ
 يُخَالِسُ مَنْكِبَهُ نَظْرَةً ، فَتَلَفَتْهُ حَسْرَةٌ تَسْتَدِلُّ
 وَيَسْطُ كَفِّهِ مُسْتَعْرِقًا ، فَتَحَسَّبُهُ قَارِئًا قَدْ ذَهَلَ
 ٩ يَرَى نِعْمَةً لَبَسَتْ نِقْمَةً ، وَنُورًا تَدَجَّى ، وَسِحْرًا بَطَلَ
 ١٠ وَآيَتُهُ عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا نَصَلَ

- (١) أَسْرَارُ الكَفِّ : خطوطها التي تدلُّ على المُعَيَّب من أسرارها .
- (٢) السَّحْقُ : البالي المُنْسَحِق . تَهْتَكُ : تحرق وتساقط . الأديم : الجلد المدبوغ . النَّهْلُ : الذى فسد دِبَاغُه فتفتت وتَرَفَّت .
- (٣) السَّنَا : الضوء العالى .
- (٤) بِهِيمٌ : مظلم لا ضوء فيه ، ولا منفذ لبصر .
- (٥) تَلَاوُذٌ : تدور كأنها تطلب ما تلوذ به . اللُّغزُ : الطريق المتلوى المشكل يضلُّ سالكه . الداجى : الساتر ، الذى يلبسُ ما فيه ويستره . والدَّغْلُ : الشجر المتلف المشتبك النبت .
- (٦) أُسْوَدَةٌ (جمع سَوَادٍ) : وهو شخص الشيء ، لأنه يرى من بعيد أسود . خَطَفَتْ : تسرع كالشعاع الخاطف .
- (٧) هَدَلٌ : غَنَى غناء الحمام .
- (٨) السُّدُفُ (جمع سُدْفَةٍ) : ظلمةٌ مختلطة بضوء يشوبها . الضَّئَالُ : السُّدْر يَنبت فى السهول ، تُسَوَّى من قضبانهِ السُّهَام .

- ١ وَأَسْرَارَهَا فَضَّهَا طَائِفٌ لَهُ سَطْوَةٌ وَأَذَى حَيْثُ حَلَّ
- ٢ وَسَحَقَ غِشَاءً عَلَى أَعْظَمٍ ، تَهْتَكُ مِثْلَ الْأَدِيمِ النَّعْلُ
- ٣ وَمَسَّتْ أَنْامِلُهُ رَجْفَةً ، تَسَاقَطَ عَنْهَا سَنَاهَا وَزَلُّ
- ٤ وَأَفْضَى بِنَظَرَتِهِ نَافِذًا إِلَى غَيْبِ مَاضٍ بِهِيمِ السُّبُلُ
- ٥ ثَلَاوِذُ أَشْبَاحِهِ ، كَالذَّلِيلِ ، يُلْعَزُ نَحِيلٌ ، وَدَاجِي دَغَلُ
- ٦ وَأَسْوَدَةٌ خَطَفَتْ فِي الظَّلَامِ هَارِبَةً مِنْ صِيُودٍ خَتَلُ
- ٧ وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَتْ ، وَأَمِنْ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلُ
- ٨ وَشَقَّتْ لَهُ السُّدَفُ الْغَاشِيَاتِ حَسَنَاءُ ضَالٍ عَلَيْهَا الْحُلُّ
- أَضَاءَ الظَّلَامِ لَهَا بَعْتَةٌ ، وَقَوَّضَ خَيْمَتُهُ وَارْتَحَلَ
- أُطْلُتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ الْعُصُورِ عِذْرَاءُ مَكْنُونَةٌ لَمْ تُنَلِّ

(١) الكلل (جمع كِلَّة) : وهى الستر الرقيق ، كالذى تكون فيه العروس .
وانظر البيت الرابع ص : ٤٠ .

(٣) المستوفز : هو القاعد إذا استقلَّ على رجله يتهيأ للقيام ، ولَمَّا يَسْتَوِ قائماً
بعدُ . تَلَّظَّى : التهب كاللظى .

(٦) انظر : البيت الثالث ص : ٥١ .

- ١ « رَأَى غَادَةً نُشِئَتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ » ، عَلَيْهَا الْكِلُّ
 عُرُوسُ تَمَائِلُ مُحْتَالَةٍ ، ثُمِيتُ بَدَلٍ ، وَتُحْيِي بَدَلُ
 ٣ وَنَادَتْهُ ، فَأَرْتَدَّ مُسْتَوْفِزًا بِجُرْجٍ تَلْظِي وَلَمْ يَنْدِمِلْ :
 أَفُقْ ! قَدْ أَفَاقَ بِهَا الْعَاشِقُونَ قَبْلَكَ ، بَعْدَ أُسَى قَدْ قَتَلَ !
 أَفُقْ ! يَا حَلِيلِي ! أَفُقْ ! لَا تَكُنْ حَلِيفَ الْهُمُومِ ، صَرِيعَ الْعِلَلِ
 ٦ فَهَذَا الزَّمَانُ ، وَهَذِي الْحَيَاةُ ، عَلَّمْتَنِيهَا قَدِيمًا : دُولُ !!
 أَفُقْ ! لَا فَقْدْتُكَ ! مَاذَا دَهَاكَ ؟ ! تَمَتَّعْ ! تَمَتَّعْ بِهَا ! لَا تُبَلْ !
 بِصُنْعِ يَدَيْكَ تَرَانِي لَدَيْكَ ، فِي قَدْ أُخْتِي ! وَنَعَمَ الْبَدَلُ !

(٣) انظر : البيت الثامن ص : ٥٩ .

(٤) استهل : رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه . وانظر : البيت السابع
ص : ٥٢ .

صَدَقْتَ! صَدَقْتَ!. وَأَيْنَ الشَّبَابُ؟ وَأَيْنَ الْوُلُوعُ؟ وَأَيْنَ الْأَمَلُ؟

صَدَقْتَ صَدَقْتَ!!! نَعَمْ قَدْ صَدَقْتُ! وَسِرُّ يَدَيْكَ كَانَ لَمْ يَزَلْ

٣ حَبَاكَ بِهِ فَاطِرُ النِّيَرَاتِ ، وَبَارِى النَّبَاتِ ، وَمُرْسَى الْجَبَلِ

٤ فَقُمْ ! وَاسْتَهْلْ ، وَسَبِّحْ لَهُ ! وَلَبَّ لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلْ

... وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَإِلَّا تَكُنْ رَضِيتَ فَقَدْ أُمِلَّتْكَ ،
وإذا أنا قد أسأتُ من حيثُ أردتُ الإحسان . ولكنَّكَ
بعثتَ كوامنَ نفسي مُنذُ رأيتُكَ ، فتوسَّمتُ وجهك ،
وعرفتُ فيه شيئاً أخطأته في وجوه كثير من أهل زماننا .
فأحبيتُ أن أعظك وأعظَ نفسي بِنِعْمَةِ اللَّهِ على عباده ، إذ
جعلَ بعضهم لبعضٍ قُدُوةً وَعِبْرَةً ، وآتاهم من مكنونِ علمه
ما لا يغفلُ عنه إلَّا هالكٌ ، ولا يُضِيعُه إلَّا مُسْتَهينٌ لا يبالى .
وقد بلغنا رسولُ اللَّهِ عن ربِّه بلاغاً يُضِيءُ لِكُلِّ حَيٍّ نَهَجَ
حياته ، ويُمسِكُ عليه هَدًى فِطْرته ، إذ قال : « إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ » وقال : « إِنَّ اللَّهَ
كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ،

وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلِيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ ،
وَلْيُرْخَ ذَبِيحَتَهُ . فَأَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ فِي
إِتْقَانِ مَا نَصْنَعُ ، وَإِحْسَانِ مَا نَعْمَلُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى
الرُّشْدِ ، وَالْإِتْقَانَ فِي الْعَمَلِ ، وَالْإِحْسَانَ فِيْمَا نَأْتِي وَمَا نَذَرُ .
وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ .
وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا صَالِحًا ،
وَسَدَادًا فِي الْخَيْرِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

من أخيك

القاهرة : ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

أبوفهم
محمود محمد شاكراً

١٥ يناير سنة ١٩٥٢ م

... تلك هي قصيدة الشماخ ، بل تلك هي لؤلؤة
من لآلئ الشعر العربي القديم ، تتعاقب عليها العصور
والحقب ، وهي حيث هي جذّة ولألاء .

استوحى الشماخ في هذه القصيدة عاطفته ، فوصف قوسًا
صنعها قوَّاس ثم باعها ، فترقرقت تلك العاطفة بجداول
الحب والحنان ، وترنمت بأصوات الزهو والاعتزاز ،
واضطرمت بمارج اللوعة والأسى ، في وصفٍ ساحر بارع ،
شَمَخ به الشماخ على عظماء الشعر ممن استلهموا الهياكل
والجبال المقدسة .

وتذكّرنا قَوْسُ الشماخ بثرس أوميروس الذي صنعه

سادنُ النار المؤلّة للبطل أخيل ، وجعله أسطراباً للأفلاك
وأجرام السماء ، ومحوراً للأرض وما تحويه من خلائق
وكائنات . وفي كلا الوصفين من روائع الخيال ورقائق الفن ،
ما لا يسلس زمامه إلا للنفس المحلقة والبيان المجنح . وم
لقصيدة الشماخ في تراثنا الجليل من أشباه ونظائر ،
لو نُزعت الغلالات عنها وجُليّت للناس ، لتكوننّ الشاهد
العدل على العبقرية العربية .

وليست الجوانب الفنية في قصيدة الشماخ ،
ولا العواطف النبيلة فيها ، ولا الصلات الروحية بين الفن
وصاحبه ، ليس كل هذا هو الذى حدانا على كتابة هذه
الكلمة ، بل دفعنا إليها اغتباطنا بأن نجد الفن مجازاً يصل

بين الأرواح المجنّدة ، وموضوعاً تجرى عليه رسائل الإخوان ،
فترق على سبحات الفن إلى سموات الفكر وفراديس الأدب
الخالد .

التقى صديقنا ، رفيق الصبا وخِذَن الشباب ،
الأستاذ محمود محمد شاكر ، بصاحب دار المعارف
شفيق مئري ، ولم يكونا قد التقيا من قبل ، وتطرق الحديث
بينهما إلى الكلام على العمل وتجويده ، والفن وسحر
أواخيه ، فإذا بالرجلين روحان مؤتلفان متعارفان ، يقدر كل
صاحبه ، ويكبر فيه الهمة الوثابة والهيام بالمثال الأعلى .

وشاء صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أن يخلد ذلك

اللقاء برسالة يعبر فيها عن نظرتة إلى الإنسان وإلى الفن ،
فكانت قصيدة الشماخ هي المنفذ الذى نفذ منه إلى تصوير
أعماق النفوس ، وإبراز المعانى التى مسّها الشماخ مسّاً
رفيقاً ، فانقلبت صوراً حية ناطقة ، وأبانت عن مرامى
الشعر وأهدافه ، وتألّفت منهما ملحمة شعرية فريدة فى
بائها ، تحتل مكانها من الشعر الإنسانى الخالد .

عادل الفضبان

(مجلة الكتاب)

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ

أول فبراير سنة ١٩٥٢ م

الناشر
دارالمَدَنِي بِمَجْدَة
ت ٦٧١٣٤٢٤ ص ب ١٨٤٨٥

المؤسسة السعودية بحضرة
٦٨ شارع الدياربية - القاهرة، ت: ٨٢٧٨٨١

مطبعة المَدَنِي